منـهج القرآن الكريم
في الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه
دراسة موضوعية

بحث بقلم
د/ أيمن صبحي سيدأحمد إبراهيم صديق
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب، الذي أنزل على عبده الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه الحكمة وفصل الخطاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مالك الملوك ورب الأرباب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرسل بأفضل كتاب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ما هطل سحاب ولمع سراب.

وبعد:

فمن الحقائق التي عني القرآن الكريم ببيانها عقيدة البعث بعد الموت؛ لما يترتب عليها من تربية خلقية، وتهذيب وتقويم في العمل والسلوك.

فهي حقيقة غيبية يترتب على معرفتها والإيمان بها مصلحة عظمى للناس؛ إذ بها يعرف كل إنسان أنه لن يجد أمامه يوم القيامة إلا ما قدم من خير أو شر، وأن الله لم يخلق الناس عبثا، ولم يتركهم سُدىً، وبهذا يتجه في حياته اتجاها مستقيما، ويتزود بالعمل الصالح، ويعلم أنه إن خالف هذا فهو معرض للخزي والهوان. وهذا هو السرّ في عناية القرآن بعقيدة البعث وما يترتب عليها.

بالإضافة إلى أن الإيمان بالبعث جزء من الإيمان باليوم الآخر، الذي هو أحد أركان الإيمان الستة، التي بيَّنها الله تعالى أوضح بيان؛ حتى تكون الحجة واضحة، والبراهين قائمة، ﴿ لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ ﴾ (١)

وإن تقريرَ عقيدة البعث من الوضوح والبيان بما لا يحتاج إلى إثبات أو برهان، فمن خلق أولاً قادر على إعادة الخلق ثانياً، وذلك واضح لدى كل العقلاء.

---

(١) سورة الأنفال، من الآية: ٤٢

أما من ختم الله على قلوبهم، وانحرفت فطرتهم، فلن يقروا بالبعث إلا ساعة وقوفهم على النار، ووقتها يتمنون العودة إلى الدنيا حتى لا يكذبوا بالبعث، ولكن الله تعالى يقرر كذبهم في دعواهم، ويبين أنها مجرد كلام لا يؤيده رصيد من الواقع، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(١)

وقد كثر الاستدلال القرآني على البعث، وتنوعت الأدلة ما بين شرعية وحسية وعقلية، ونهج القرآن الكريم في استدلاله على إمكان البعث وتحقق وقوعه منهجا قويما، يجمع بين ما تقرره العقول السليمة، ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة.

كل هذا دفعني لكتابة هذا البحث، الذي جعلت عنوانه: منهج القرآن الكريم في الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه- دراسة موضوعية.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، حيث تتبعت الآيات القرآنية التي تحدثت عن منهج القرآن الكريم في الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه، وقمت بحصرها، ثم صنفتها ووزعتها على فصول ومباحث، ثم سرت في البحث بعد ذلك متبعاً المنهج الموضوعي في التفسير.

وفي ضوء هذا المنهج قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع ومنهج البحث وخطته.

الفصل الأول: الأدلة الشرعية على إمكان البعث ووقوعه.

ويشتمل على مبحثين:

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٢٧ – ٢٩

المبحث الأول: الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه بإخبار الله تعالى بذلك.

المبحث الثاني: الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه بتواتر الإخبار بذلك عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الفصل الثاني: الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه.

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: الاستدلال بالنشأة الأولى.

المبحث الثاني: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها.

المبحث الثالث: الاستدلال بخلق السموات والأرض.

المبحث الرابع: الاستدلال بإخراج الضد من ضده.

المبحث الخامس: الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم.

المبحث السادس: الاستدلال بتعاقب الليل والنهار.

المبحث السابع: الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم.

الفصل الثالث: الأدلة العقلية على إمكان البعث ووقوعه.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاستدلال بحكمة الله وعدله.

المبحث الثاني: الاستدلال بقدرة الله وعلمه.

المبحث الثالث: الاستدلال بأن اختلاف الناس لا ينتهي إلا بالبعث.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وبعد فهذا جهدي، فإن أصبت فبفضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فعذري أن كل بني آدم خطاء، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[1]

(١) سورة هود، من الآية: ٨٨

الفصل الأول
الأدلة الشرعية على إمكان البعث ووقوعه

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه بإخبار الله تعالى بذلك.

المبحث الثاني: الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه بتواتر الإخبار بذلك عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الأول

الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه بإخبار الله تعالى بذلك.

أقوى الأدلة على إمكان البعث ووقوعه إخبار الله – عز وجل – بتحقق هذا الأمر؛ لأنه ليس هناك أحد أصدق من الله تعالى في إخباره ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (١) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٢)

والمؤمنون في ساعة سماعهم لهذا الإخبار يعلنون التصديق المصحوب بالسمع والطاعة قائلين: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٣)

أما الخارجون عن شرع الله فشعارهم دائماً: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (٤)، وأحياناً يخدعون أنفسهم قائلين: ﴿ سَمِعْنَا ﴾(٥) ولكن حقيقة الأمر أنهم –كما قال الله تعالى–: ﴿ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٦). ثم يعلن الله تعالى السبب في عدم امتثالهم لأمره فيقول: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٧)

وقد نوَّع الله تعالى أساليب الإخبار بتحقق البعث بعد الموت من باب التقرير والتأكيد، وتجسد هذا فيما يلي(٨):

---

(١) سورة النساء، من الآية: ٨٧

(٢) سورة النساء، من الآية: ١٢٢

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٥، وسورة النور، من الآية: ٥١

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٩٣، وسورة النساء، من الآية: ٤٦

(٥) سورة الأنفال، من الآية: ٢١

(٦) سورة الأنفال، من الآية: ٢١

(٧) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٢، ٢٣

(٨) بعض هذه الأساليب مذكور في شرح العقيدة الطحاوية ص٤٥٨، ٤٥٩، وفي كتاب: القيامة الكبرى للدكتور عمر الأشقر ص ٦٤ – ٦٦

١- في بعض المواضع يخبرنا الله تعالى بوقوع يوم القيامة – المترتب على البعث – إخباراً مؤكداً بحروف التأكيد، كما في قوله تعالى: وقوله: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[١]، وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[٧]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾[٨].

ففي هذه الآيات إخبار من الله تعالى بوقوع البعث إخباراً مؤكداً بـ « إنَّ » أو بـ « إنَّ واللام ».

٢- وأحياناً يستخدم التعبير عن مجيء يوم القيامة بالفعل الماضي تحقيقاً لأمرها، كأنها قد وقعت بالفعل، كما في قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[٩]

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٤
(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٥
(٣) سورة الكهف، من الآية: ٢١
(٤) سورة طه، الآية: ١٥
(٥) سورة الحج، الآيتان: ٦، ٧
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١٦
(٧) سورة غافر، الآية: ٥٩
(٨) سورة المرسلات، من الآية: ٧
(٩) سورة النحل، من الآية: ١

قال الإمام ابن كثير: "يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع لا محالة، كقوله: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝ ﴾ (١)، وقال: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ ﴾ (٢)". (٣)

٣- وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على إثبات البعث والمعاد، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾(٤)، ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾(٥).

و"اللام في قوله: ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ لام قسم مضمر، والتقدير: والله ليجمعنكم"(٦)

ويقسم الله عز وجل على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا(٧)

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١

(٢) سورة القمر، الآية: ١

(٣) تفسير ابن كثير ٥٦٢/٢

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٧

(٥) سورة الأنعام، من الآية: ١٢

(٦) التفسير الكبير ١٣٧/١٢، ويراجع: الكشاف ٥٧٧/١، تفسير البيضاوي ٢٢٩/٢، تفسير البحر المحيط ٣٢٥/٣، تفسير أبي السعود ١١٥/٣

(٧) أكثر أهل العلم على أن **المراد بالذاريات**: الرياح، وهو الحق إن شاء الله، ويدل عليه: أن الذرو صفة مشهورة من صفات الرياح. وأكثر أهل العلم على أن **المراد بالحاملات وقراً**: السحاب، أي المزن تحمل، وقراً: ثقلاً من الماء. وأكثر أهل العلم على أن **المراد بالجاريات يسراً**: السفن تجري في البحر يسراً، أي جرياً ذا يسر، أي سهولة. والأظهر: أن هذا المصدر المُنَكَّر حال، أي فالجاريات في حال كونها ميسرة مسخراً لها البحر، ويدل لهذا القول كثرة إطلاق الوصف بالجري على السفن. وقوله تعالى: ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾ هي الملائكة يرسلها الله في شؤون وأمور مختلفة، ولذا عبر عنها بالمقسمات، فمنهم من يرسل لتسخير المطر= =والريح، ومنهم

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝ ﴾ (١)، وقوله: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ (٢) ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝ ﴾ (٣).

٤- وفي بعض المواضع يأمر الله – عز وجل – رسوله ﷺ بالإقسام على وقوع البعث وتحققه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝ ﴾ (٤)، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ

من يرسل لكتابة الأعمال، ومنهم من يرسل لقبض الأرواح، ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم. والتحقيق: أن قوله: ﴿ أَمْرًا ﴾ مفعول به للوصف الذي هو المقسمات، وهو مفرد أريد به الجمع. (أضواء البيان ٤٣٤/٧ ، ٤٣٥ باختصار)

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١ – ٦

(٢) الأظهر أن **الطور**: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى. والأظهر: أن **الكتاب المسطور**: هو القرآن العظيم. **والرَق** – بفتح الراء – كل ما يكتب فيه من صحيفة وغيرها، وقيل هو الجلد المرقق ليكتب فيه. وقوله: ﴿ مَّنشُورٍ ﴾ أي مبسوط. ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾ هو البيت المعروف في السماء المسمى بالضُراح – بضم الضاد – وقيل فيه: معمور؛ لكثرة ما يغشاه من الملائكة المتعبدين. وقوله: ﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾ يعني: السماء. وقوله: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ فيه وجهان من التفسير للعلماء: أحدهما: أن المسجور هو الموقد ناراً. قالوا: وسيضطرم البحر يوم القيامة ناراً. الوجه الثاني: هو أن المسجور بمعنى المملوء؛ لأنه مملوء ماء. (أضواء البيان ٤٥١/٧ ، ٤٥٢ باختصار، ويراجع: التسهيل لعلوم التنزيل ٧١/٤)

(٣) سورة الطور، الآيات: ١ – ٨

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٣

أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ (١)، وقوله: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ (٢)

قلت: هذه الآيات الثلاث – التي يأمر الله فيها رسوله ﷺ بالإقسام على وقوع البعث وتحققه – لا رابع لها في القرآن الكريم.

٥- **وفي مواضع أخرى يذم منكري البعث**، كقوله تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ (٥)، وقوله: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٦)، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾(٧)

---

(١) سورة سبأ، الآيات: ٣ – ٥

(٢) سورة التغابن، الآية: ٧

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣١

(٤) سورة يونس، الآية: ٤٥

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٢١

(٦) سورة النمل، الآيتان: ٦٥، ٦٦

(٧) سورة الشورى، الآية: ١٨

وأحياناً يتوعد منكري البعث بالنار، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾(١)

٦- **وأحياناً يمدح المؤمنين بالمعاد**، كما في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ (٣).

٧- **وأحياناً يذكر في سياق مدح المؤمنين بالمعاد أن من أخص صفاتهم: الإيمان باليوم الآخر، ويذكره مقروناً بالإيمان بالله تعالى، أو ببعض أركان الإسلام، وشعائره**، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ مِّنْ

(١) سورة الفرقان، الآيات: ١١ – ١٤
(٢) سورة البقرة، الآيات: ١ – ٥
(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٧ – ٩
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧

أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (١)

وكما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢)، فقد ذكر الله تعالى الإيمان باليوم الآخر في هذه الآية مقروناً بالإيمان بالله تعالى، وبالصلاة والزكاة – باعتبارهما أهم أركان الإسلام –، وبخشية الله تعالى.

٨- **كما أن الله – عز وجل – قد قرن الكفر باليوم الآخر بالكفر به سبحانه وتعالى، وفي هذا تأكيد على أن الكفر بالبعث كفر بالله تعالى،** كما في قوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ (٣)

وقد بيَّن الله تعالى في قصة الرجلين اللذين جعل الله تعالى لأحدهما جنتين، فدخل جنته وهو ظالم لنفسه، مغتراً بنعمة الله تعالى عليه، وظن الخلود، واستبعد قيام الساعة، فنبهه صاحبه إلى أن الشك في البعث كفر بالله تعالى، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (٤)

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٣، ١١٤

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٨

(٣) سورة النساء، من الآية: ١٣٦

(٤) سورة الكهف، الآيات: ٣٥ – ٣٨

بل إن الله تعالى قد ذكر صراحةً أن الشك في البعث أو الكفر به كفر بالله تعالى، حيث قال: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (١)

قال الإمام الشنقيطي: "وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ يدل على أن الشك في البعث كفر بالله تعالى، وقد صرَّح بذلك في أول سورة الرعد، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ ﴾ ". (٢)

٩- **وأحياناً يذكر الله تعالى اليوم الآخر مقروناً بالعلم والإيمان**، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣)

١٠- **أو يذكره مقروناً بعدل الله تعالى**، كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٤)

١١- **وأحياناً يذكره في معرض الحديث عن الابتلاء**، المميز للمؤمنين من الكافرين والصادقين من الكاذبين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾(٥).

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٥

(٢) أضواء البيان – الشنقيطي ٢٧٧/٣

(٣) سورة الروم، الآية: ٥٦

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧

(٥) سورة سبأ، الآيتان: ٢٠، ٢١

"والمعنى: لا سلطان له عليهم، ولكن ابتليناهم بوسوسته لنعلم".(١)

وكما في قوله: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥ ﴾(٢).

١٢- وأحياناً يخبر أن اليوم الآخر وعد صادق، وخبر لازم، وأجل لا شك فيه، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ۝٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ۝٢٥ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ۝١٠٤ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٣٣ ﴾(٥)، وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٠ ﴾(٦)، وقوله:﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٨٣ ﴾(٧)، وقوله: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ ﴾(٨)

---

(١) فتح القدير ٣٢٣/٤

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ١ – ٥

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٤، ٢٥

(٤) سورة هود، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤

(٥) سورة لقمان، الآية: ٣٣

(٦) سورة سبأ، الآيتان: ٢٩، ٣٠

(٧) سورة الزخرف، الآية: ٨٣

(٨) سورة الذاريات، الآية: ٥

وعندما غضب الله تعالى على إبليس، طلب إبليس من الله تعالى أن يمهله إلى يوم البعث، فمنحه الله تعالى تلك المهلة، وأعلمه أنها إلى وقت محدد معلوم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (١)

١٣- وفي بعض الأحيان يخبر عن مجيئ اليوم الآخر واقترابه، كقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾(٤).

١٤- وفي مواضع أخرى يمدح الله تعالى نفسه بإعادة الخلق بعد موتهم، ويذم آلهة المشركين – المزعومة – بعدم قدرتها على الخلق وإعادته، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (٥).

"فهذه الآية تدل على البعث؛ لأنه تعالى ذكر النشور، ومعناه: أن المعبود يجب أن يكون قادرا على إيصال الثواب إلى المطيعين، والعقاب إلى العصاة، فمن لا يكون كذلك وجب أن لا يصلح للإلهية"(٦).

وكما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾(٧)

---

(١) سورة الحجر، الآيات: ٣٦ – ٣٨، وسورة ص، الآيات: ٧٩ – ٨١

(٢) سورة النحل، من الآية: ١

(٣) سورة القمر، الآية: ١

(٤) سورة المعارج، الآيتان: ٦، ٧

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٣

(٦) التفسير الكبير – الرازي ٤٣/٢٤ بتصرف.

(٧) سورة النمل، الآية: ٦٤

أو يصف نفسه بأنه مالك يوم الدين، كما في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [1]، وهذا من باب التفخيم والتعظيم، لا سيما وقد جاء في سورة الفاتحة، بوصفها أول سورة في القرآن الكريم بحسب ترتيب المصحف.

١٥- وفي بعض المواضع يذكر أن هذا الخلق وذاك البعث الذي يُعْجِز العباد ويذهلهم سهل يسير عليه تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٧ ﴾ [2]، وقوله: ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝٢٨ ﴾ [3]، وقوله: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾ [4]

وهذه الأساليب تؤكد أن الله تعالى أخبر إخباراً جازماً بوقوع البعث وتحققه، وهو خبر لا يقبل الشك أو التكذيب؛ إذ هو إخبار من الله الذي ليس في الوجود أحد أصدق منه حديثاً، ثم هو إخبار ممن ثبتت قدرته على كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، جَلَّ في علاه.

❁❁❁

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٤

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٧

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٨

(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٣، ٤

المبحث الثاني

الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه بتواتر الإخبار به عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

هذا هو الدليل الثاني من الأدلة الشرعية على إمكان البعث ووقوعه ، وهو دليل لا يمكن جحده وإنكاره؛ وذلك لأن الخبر إذا تواتر عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، فإنه يكون خبراً ثابتاً لا يتطرق إليه الشك، فما بالنا إذا كان هذا الخبر متواتراً عن أنبياء الله ورسله – عليهم الصلاة والسلام –، حيث أخبروا جميعاً باليوم الآخر، ودعوا أقوامهم إلى الإيمان بهذا اليوم، والتصديق بكل ما فيه.

"فإن القيامة الكبرى معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم – عليهم السلام –"(١)

ومن أدلة ذلك ما يلي:

١- يُقِرُّ جميع الكفار بأن رسلهم حذرتهم من يوم المعاد، ولكنهم كفروا وكذبوا، فقد أخبر الله – عز وجل – في كتابه الكريم أن أهل النار حينما يُلْقَون فيها ويسألهم خزنتها: ألم يأتكم رسل منكم ينذرونكم هذا اليوم، يشهدون على أنفسهم ويقرون بأن رسلهم أنذرتهم هذا اليوم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (٢)

ومعنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ ﴾ "أي أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن لامحالة".(٣)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٥٧

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠

(٣) تفسير ابن كثير ١٧٨/٢

وكما في قوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ (١)

وقوله:﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ (٢)

قال الإمام أبو السعود: "﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ يتلو عليكم آيات ربكم، وينذركم لقاء يومكم هذا، كما وقع في سورة الزمر".(٣)

٢- **وقد أخبر الله باليوم الآخر من حين أهبط آدم** فقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾(٤)، ولما قال إبليس اللعين: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٥)

---

(١) سورة الزمر، من الآية: ٧١

(٢) سورة الملك، الآيات: ٦ – ١٠

(٣) تفسير أبي السعود ٥/٩

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٤، ٢٥

(٥) سورة الحجر، الآيات: ٣٦ – ٣٨، سورة ص، الآيات: ٧٩ – ٨١

٣- وخوَّف نوح – عليه السلام – قومه من يوم البعث فقال لهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [(١)]، وقال: ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾ [(٢)]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾﴾ [(٣)]

قال الإمام الرازي: "أما قوله: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا ﴾ فهو إشارة إلى الطريقة المعهودة في القرآن من أنه تعالى لما كان قادراً على الابتداء كان قادراً على الإعادة. وقوله: ﴿ وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾ أكده بالمصدر، كأنه قال يخرجكم حقاً لا محالة". [(٤)]

4- ونبي الله صالح – عليه السلام – دعا قومه إلى الإيمان باليوم الآخر، وحذرهم من التكذيب به، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [(٥)]

وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الآيات، "**فقيل:** إنهم عاد ورسولهم هود؛ لأنهم الذين يلون قوم نوح. **وقيل:** إنهم ثمود ورسولهم صالح، **وهذا أصح**؛ لقوله: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ [(٦)]، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة، وأما عاد فأهلكوا

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩
(٢) سورة هود، الآية: ٢٦
(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٧، ١٨
(٤) التفسير الكبير ١٢٥/٣٠
(٥) سورة المؤمنون، الآيات: ٣٣ – ٣٧
(٦) سورة المؤمنون، من الآية: ٤١

بالريح".[1] ولأن هذه القصة تشبه قصة ثمود ورسولهم صالح.

5- وشعيب – عليه السلام – خوَّف قومه من هذا اليوم فقال لهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2]

6- وإبراهيم – عليه السلام- كان كثيراً ما يذكر اليوم الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[3]، ويدعو ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾[4]، ويدعوه أيضاً قائلا: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾[5].

٧- وموسى – عليه السلام – قال الله تعالى لما ناجاه: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[6]

وقال موسى: ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾[7]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٥١/٣، ويراجع في ترجيح كونهم ثمود ورسولهم صالح: تفسير الطبري ١٩/١٨، تفسير السمرقندي ٤٧٩/٢، تفسير السعدي ص٥٥١

(٢) سورة العنكبوت، من الآية: ٣٦

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨ – ٨٢

(٤) سورة البقرة، من الآية: ١٢٦

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٤١

(٦) سورة طه، الآيتان: ١٥، ١٦

(٧) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٦

٨- **وعيسى – عليه السلام – يقرر هذا الأمر** فيقول: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ (١)

٩- **ويوسف – عليه السلام – يدعو ربه قائلاً:** ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمًا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾(٢)

١٠- **بل إن بعض أتباع الرسل كانوا موقنين بالبعث عارفين به،** وقد حكى الله ذلك في كتابه الكريم.

فمؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وهو من أتباع موسى – عليه السلام -. قال تعالى حكاية عنه: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ ﴾(٣)، وقال أيضاً: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٤)

وسحرة فرعون عندما ذاقوا حلاوة الإيمان لم يعبأوا بتهديد فرعون، وكان من كلامهم: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾(٥)

ومن خلال ما تقدم يتضح إجماع الرسل الكرام – عليهم الصلاة والسلام – على الإخبار بتحقق إحياء الموتى وبعثهم للوقوف بين يدي الله عز وجل، وقد تواتر هذا

---

(١) سورة مريم، الآية: ٣٣

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠١

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٣٢، ٣٣

(٤) سورة غافر، الآية: ٣٩

(٥) سورة طه، الآيات: ٧٤ – ٧٦

الأمر عنهم، وهو دليل شرعي يوجب القطع بذلك؛ لأنه إخبار ممن ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته.

قال الإمام السيوطي: "قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظما لها، وذلك مقطوع بصحته؛ لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته، منقول إلينا بالتواتر، فهو حق".[1]

۞۞۞

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣٥٦/٢

الفصل الثاني
الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: الاستدلال بالنشأة الأولى.

المبحث الثاني: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها.

المبحث الثالث: الاستدلال بخلق السموات والأرض.

المبحث الرابع: الاستدلال بإخراج الضد من ضده.

المبحث الخامس: الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم.

المبحث السادس: الاستدلال بتعاقب الليل والنهار.

المبحث السابع: الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم.

المبحث الأول
الاستدلال بالنشأة الأولى

استدل القرآن الكريم على إمكان البعث ووقوعه بالنشأة الأولى؛ إذ النشأة الأولى تدل على إمكان النشأة الأخرى، ومبدأ الإنسان يدل على معاده يوم القيامة، وهو دليل واضح جلي؛ لأن القادر على الخلق ابتداءً قادر على إعادة هذا الخلق مرة ثانية، والكل معترِف بالخلق الأول؛ لأنه أمر معاين محسوس لا سبيل إلى إنكاره، والكل مجمع أيضاً على أن ابتداء الخلق أشق وأصعب من إعادته، وأن من عجز عن الإعادة فهو عن ابتداء الخلق أعجز.

وقد ورد الحديث عن هذا النوع من الاستدلال في عدة مواضع من القرآن الكريم، بيانها على النحو التالي:

١- قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

٢- وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٢)

٣- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾(٣)

ففي هذه الآيات استدلال على البعث بقياس الإعادة على البدء أول مرة، وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ ضرب مثل، يقرب به الصورة لفهم السامع؛ لأنه لا

(١) سورة يونس، الآية: ٤
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤
(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧

يوجد بالنسبة لله تعالى شيء هو أسهل وشيء هو أصعب، وإنما الأمور كلها متساوية عند الله.

فمعنى قوله: ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ أن "الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث، فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله، فإن كل شيء على الله يسير".(١)

٤- قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾(٢)

إن المتأمل في هذه الآيات وغيرها يتضح له أن شبهات المنكرين للبعث ترتكز على الطعن في كمال قدرة الله على كل شيء، وكمال علمه المحيط بكل شيء، وقد قام البرهان على كمال العلم والقدرة لله تعالى، فلا وجه للاستبعاد والاستغراب بعد ذلك.

قال الإمام الرازي: "**أما تقرير شبهة القوم** فهي أن الإنسان إذا مات جفت أعضاؤه وتناثرت وتفرقت، وإذا صار الأمر كذلك فكيف يعقل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى، وكيف يعقل عود الحياة إليها بأعيانها مرة أخرى.

والجواب عنها أن هذا الإشكال لا يتم إلا بالقدح في كمال علم الله وفي كمال قدرته، أما إذا سلمنا كونه تعالى عالماً بجميع الجزئيات فحينئذ هذه الأجزاء وإن اختلطت بأجزاء العالم إلا أنها متمايزة في علم الله تعالى، ولما سلمنا كونه تعالى قادراً

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١٢٢/٣

(٢) سورة الإسراء، الآيات: 49 - 52

على كل الممكنات كان قادراً على إعادة التأليف والتركيب والحياة والعقل إلى تلك الأجزاء بأعيانها، فثبت أنا متى سلمنا كمال علم الله وكمال قدرته زالت هذه الشبهة بالكلية.

أما قوله تعالى ﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ ﴾ فالمعنى أن القوم استبعدوا أن يردهم إلى حال الحياة بعد أن صاروا عظاماً ورفاتاً، وهي وإن كانت صفة منافية لقبول الحياة بحسب الظاهر، لكن قدروا انتهاء هذه الأجسام بعد الموت إلى صفة أخرى أشد منافاة لقبول الحياة من كونها عظاماً ورفاتاً مثل أن تصير حجارة أو حديداً، فإن المنافاة بين الحجرية والحديدية وبين قبول الحياة أشد من المنافاة بين العظمية وبين قبول الحياة، وذلك أن العظم قد كان جزءاً من بدن الحي، أما الحجارة والحديد فما كانا البتة موصوفين بالحياة فبتقدير أن تصير أبدان الناس موصوفة بصفة الحجرية والحديدية بعد الموت فإن الله تعالى يعيد الحياة إليها ويجعلها حياً عاقلاً كما كان. والدليل على صحة ذلك أن تلك الأجسام قابلة للحياة والعقل؛ إذ لو لم يكن هذا القبول حاصلاً لما حصل العقل والحياة لها في أول الأمر، وإله العالم عالم بجميع الجزئيات، فلا تشتبه عليه أجزاء بدن زيد المطيع بأجزاء بدن عمرو العاصي، وقادر على كل الممكنات، وإذا ثبت أن عود الحياة إلى تلك الأجزاء ممكن في نفسه، وثبت أن إله العالم عالم بجميع المعلومات، قادر على كل الممكنات، كان عود الحياة إلى تلك الأجزاء ممكناً قطعاً، سواء صارت عظاماً ورفاتاً، أو صارت شيئاً أبعد من العظم في قبول الحياة، وهي أن تصير حجارة أو حديداً، فهذا تقرير هذا الكلام بالدليل العقلي القاطع.

وقوله: ﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ ﴾ ليس المراد منه الأمر، بل المراد أنكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله تعالى عن الإعادة.

ثم قال ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ والمعنى: أنه لما

قال لهم كونوا حجارة أو حديداً أو شيئاً أبعد في قبول الحياة من هذين الشيئين فإن إعادة الحياة إليه ممكنة، فعند ذلك قالوا: من هذا الذي يقدر على إعادة الحياة إليه؟ قال تعالى: قل يا محمد: الذي فطركم أول مرة. يعني أن القول بصحة الإعادة فرع على تسليم أن خالق الحيوانات هو الله تعالى".(١)

ففي قوله تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ استدلال بالنشأة الأولى على الثانية، وهذا هو الشاهد من الآية .

٥- قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ (٢)

بهذا المنطق يرد القرآن الكريم على ذلك المنكر ويجادله في أسلوب هادئ محكم فيلزمه الحجة الواضحة.

"وقد بين في هذه الآية أن هذا الإنسان الكافر يقول منكراً البعث: ﴿ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾ زعماً منه أنه إذا مات لا يمكن أن يحيا بعد الموت، وقد رد الله عليه مقالته هذه بقوله: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ يعني: أيقول الإنسان مقالته هذه في إنكار البعث ولا يذكر أنا أوجدناه الإيجاد الأول ولم يك شيئاً، بل كان عدماً، فأوجدناه، وإيجادنا له المرة الأولى دليل قاطع على قدرتنا على إيجاده بالبعث مرة أخرى".(٣)

وفي الحديث الصحيح الذي يرويه أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: **{كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ. فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ**

(١) التفسير الكبير ١٧٩/٢٠ – ١٨١ باختصار.
(٢) سورة مريم، الآيات: 66 - 67
(٣) أضواء البيان ٤٧٣/٣

إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ}. (١)

٦- قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾(٢)

"فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى ؛ إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز".(٣)

وقد ورد في سبب نزولها أن أبي بن خلف جاء إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء، وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال رسول الله ﷺ : { **نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار** } ونزلت هذه الآيات من آخر يس. (٤)

وورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنها نزلت في العاص بن وائل.(٥) وقيل: نزلت في غيرهما. (١)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٠٣/٤ رقم ٤٦٩٠ كتاب تفسير القرآن، باب تفسير قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ الإخلاص. وأخرجه غيره.

(٢) سورة يس، الآيات: 79 - 77

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٤٦٠/١

(٤) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره ٢٥٦/٢، وابن جرير في تفسيره ٣٠/٢٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٠٢/١٠، وذكره ابن كثير في تفسيره ٥٨٢/٣، والسيوطي في لباب النقول ص ١٨٣

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤٦٦/٢ رقم ٣٦٠٦ كتاب التفسير، تفسير سورة يس، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٠/٢٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٠٢/١٠، وذكره ابن كثير في تفسيره ٥٨٢/٣، والسيوطي في لباب النقول ص١٨٢

قلت: الآية تعم كل منكر للبعث ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومن ثَمَّ قال ابن كثير: "وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف، أو العاص بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث" (٢).

٧- قال تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣)، ومعنى الآية: "أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة. من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله. والهمزة فيه للإنكار. ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ أي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول، بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف؛ لما فيه من مخالفة العادة. وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه، والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد". (٤)

٨- قال تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٥)

ففي هذه الآيات رد على المكذبين بالبعث، واستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانية.

---

(١) يراجع: تفسير الطبري ٣١/٢٣، زاد المسير ٤٠/٧، ٤١، الدر المنثور ٧٥/٧

(٢) تفسير ابن كثير ٥٨٢/٣

(٣) سورة ق، الآية: ١٥

(٤) تفسير البيضاوي ٢٢٦/٥

(٥) سورة الواقعة، الآيات: ٥٧ – ٦٢

قال أبو حيان:"﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي علمتم أنه هو الذي أنشأكم أولاً ﴿ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ حض على التذكير المؤدي إلى الإيمان والإقرار بالنشأة الآخرة".(١)

وهذه الآيات جميعاً تحدثت عن النشأة الأولى على وجه الإجمال، وهناك آيات أخرى تحدثت عن هذه النشأة بالتفصيل، حيث ذكرت أن الله هو الذي خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً، ونقله من مرحلة إلى أخرى، ومن طور إلى آخر، فبدأ خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم أخرجه طفلاً إلى عالم الحياة، ثم شاباً قويا، يعمر منه من يعمر حتى يبلغ أرذل العمر، فتضعف قواه ويضعف عقله، ويصير كأنه في مرحلة الطفولة.

فمن قدر على خلق الإنسان أول مرة، وصيره من مرحلة إلى أخرى، لا يعجزه إحياء هذا الإنسان بعد موته، ليجازيه بما عمل.

وقد ورد الحديث عن هذا في عدة مواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك:

١- وقال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾(٢)

٢- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ

(١) تفسير البحر المحيط ٢١١/٨ باختصار.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٣٥ – ٣٨

هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾(١)

ففي هذه الآيات استدلال على البعث بالنشأة الأولى والأطوار التي يمرّ بها الإنسان. فقد "استدل بالخلق الأول على إمكان الخلق الثاني، وهو قوله: ﴿ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ كأنه تعالى يقول: لما حصل الخلق الأول بانتقال هذه الأجسام من أحوال إلى أحوال أخرى فلم لا يجوز أن يحصل الخلق الثاني بعد تغيرات كثيرة واختلافات متعاقبة".(٢)

قال ابن القيم: "يقول سبحانه: إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون، ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت، والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع، فإعادتكم بعد الموت خلقا جديدا كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها؟

وقد أعاد سبحانه هذا المعنى وأبداه في كتابه بأوجز العبارات وأدلها وأفصحها وأقطعها للعذر وألزمها للحجة، كقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾(٣)، فدلهم بالنشأة الأولى على الثانية، وأنهم لو تذكروا لعلموا أن لا فرق بينهما في تعلق القدرة بكل واحدة منهما.

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٥ – ٧

(٢) التفسير الكبير ١٥/١٧

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٥٨ – ٦٢

وقد جمع سبحانه بين النشأتين في قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، وفي قوله: ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[2]، وفي قوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ..... ﴾[3] فتضمنت هذه الآيات عشرة أدلة: أحدها: قوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ ﴾[4] فذكَّره مبدأ خلقه ليدله به على النشأة الثانية، ثم أخبر أن هذا الجاحد لو ذكر خلقه لما ضرب المثل، بل لما نسي خلقه ضرب المثل. فتحت قوله: ﴿ وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ ﴾ ألطف جواب وأبين دليل.

وهذا كما تقول لمن جحدك أن تكون قد أعطيته شيئا: فلان جحدني الإحسان إليه، ونسي الثياب التي عليه، والمال الذي معه، والدار التي هو فيها، حيث لا يمكنه جحد أن يكون ذلك منك. ثم أجيب عن سؤاله بما يتضمن أبلغ الدليل على ثبوت ما جحده فقال: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ..... ﴾[5]، فهذا جواب واستدلال قاطع".[6]

---

(١) سورة النجم، الآيات: ٤٥ – ٤٧

(٢) سورة القيامة، الآيات: ٣٧ – ٤٠

(٣) سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩

(٤) سورة يس، الآية: ٧٧

(٥) سورة يس، الآية: ٧٩

(٦) إعلام الموقعين ١/١٤٠، ١٤١ بتصرف يسير.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

4- وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ (٢) فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٣)

٥- وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾(٤)

"ومن النشأة الأولى، وهي واقعة مكرورة لا ينكرها منكر، يتجه مباشرة إلى النشأة الأخرى . ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾. . والنشأة الأخرى غيب، ولكن عليه من النشأة الأولى دليل .

دليل على إمكان الوقوع . فالذي خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، قادر – ولا شك – على إعادة الخلق من عظام ورفات، فليست العظام والرفات بأهون من الماء المراق!

ودليل على حكمة الوقوع . فهذا التدبير الخفي الذي يقود الخلية الحية الصغيرة

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ – ١٦

(٢) قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أي يحيي للبعث، ويميت في الدنيا، على معنى التقديم. (تفسير السمرقندي ٣/٢٠٤)

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٦٧، ٦٨

(٤) سورة النجم، الآيات: ٤٥ – ٤٧

في طريقها الطويل الشاق حتى تكون ذكراً أو أنثى . هذا التدبير لا بد أن يكون مداه أبعد من رحلة الأرض التي يتم فيها شيء كامل، ولا يجد المحسن جزاء إحسانه كاملاً، ولا المسيء جزاء إساءته كاملاً كذلك ؛ لأن في حساب هذا التدبير نشأة أخرى يبلغ فيها كل شيء تمامه . فدلالة النشأة الأولى على النشأة الأخرى مزدوجة. ومن هنا جاء ذكرها هكذا قبل النشأة الأخرى . ." (١)

قال الإمام السمرقندي: " ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ يعني البعث بعد الموت، يعني ذلك إليه وبيده وهو قادر على ذلك. فاستدل على الفعل الآخر بالفعل الأول وأنه خلقهم في الابتداء من النطفة، وهو الذي يحييهم بعد الموت".(٢)

٦- وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٣)

نقل ابن كثير في تفسير قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ عدة أقوال، منها قول السدي: يعني: لا يبعث، وقول مجاهد وغيره: "يعني: لا يؤمر، ولاينهى. ثم قال ابن كثير: "والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولاينهى، ولايترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد، ولهذا قال تعالى مستدلا بالبداءة، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، ثم

(١) في ظلال القرآن ٣٤١٧/٦

(٢) تفسير السمرقندي ٣٤٧/٣ بتصرف، ويراجع: تفسير ابن كثير ٢٦٠/٤

(٣) سورة القيامة، الآيات: ٣٦ – ٤٠

قال: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه" (١)

7- وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ ﴾(٢)

قال الإمام الرازي: "تولد الإنسان عن النطفة يدل قطعاً على صحة البعث والحشر والنشر؛ وذلك لأن حدوث الإنسان إنما كان بسبب اجتماع أجزاء كانت متفرقة في بدن الوالدين، بل في جميع العالم، فلما قدر الصانع على جمع تلك الأجزاء المتفرقة حتى خلق منها إنساناً سوياً وجب أن يقال: إنه بعد موته وتفرق أجزائه لا بد وأن يقدر الصانع على جمع تلك الأجزاء وجعلها خلقاً سوياً كما كان أولاً، ولهذا السر لما بيَّن تعالى دلالته على المبدأ فرَّع عليه أيضاً دلالته على صحة المعاد فقال: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ ﴾ ".(٣)

ومعنى الآية": أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته. والمراد: إثبات البعث على ما هو الصحيح المشهور".(٤)

۞۞۞

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٣/٤

(٢) سورة الطارق، الآيات: ٥ – ٨

(٣) التفسير الكبير ١١٨/٣١ بتصرف.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ١٩٢/٤ باختصار.

المبحث الثاني

الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها

من الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه: إحياء الأرض بعد موتها، "وحاصل هذا الدليل: أن من قدر على إحياء الأرض اليابسة المقحلة بمختلف الزروع وأنواع الثمار – على اختلافها شكلاً ولوناً وطعماً – بإنزال الماء عليها فهو قادر على إعادة الحياة للإنسان بعد موته."(١)

نعم إن هذا دليل ظاهر؛ لأنه من الأمور المشاهدة المحسوسة، فنحن نرى الأرض وقد أصابها الجدب، وكأنها أشبه ما تكون بالإنسان الميت، فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء أخرجت من ألوان الزروع والثمار ودبت فيها الحياة مرة ثانية.

"فدَلَّ سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء في نظيره. والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته. وإحياء الأرض دليل العلة".(٢)

ومن الآيات الدالة على هذا ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٣)

"أي كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها، كذلك نحي الأجساد بعد صيرورتها رميما يوم القيامة، ينزل الله سبحانه وتعالى من السماء ماء فتمطر الأرض أربعين يوما فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض، وهذا المعنى كثير في

(١) إطلالة على عقيدة البعث في الإسلام- د. عبد الحميد علي عز العرب ص ١١٦
(٢) أضواء البيان ١٨٩/٤
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٧

القرآن يضرب الله مثلا ليوم القيامة بإحياء الأرض بعد موتها، ولهذا قال: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾" (١)

٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ (٢)

٣- وقال تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٣)

أي مثل ذلك الإخراج للنبات من الأرض- المُعبّر عنه بقوله: ﴿ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ ﴾ - يحيي الله الموتى فيخرجهم من الأرض أحياء للوقوف بين يدي الله تعالى.

٤- قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٤)

ومعنى الآية: " فانظر يا محمد إلى آثار الغيث الذي يُنْزِل الله من السحاب كيف يحيي بها الأرض الميتة فينبتها ويعشبها من بعد موتها ودثورها. ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٣/٢
(٢) سورة الحج، الآيتان: ٥ – ٧
(٣) سورة الروم، الآية: ١٩
(٤) سورة الروم، الآية: ٥٠

ﭐلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ يقول جل ذكره: إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث لمحيي الموتى من بعد موتهم. ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ مع قدرته على إحياء الموتى قدير لا يعز عليه شيء أراده ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه".(١)

٥- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ ﴾ (٢)

"أي مثل إحياء الموات نشور الأموات في صحة المقدورية؛ إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه، وذلك لا مدخل له فيها. وقيل: في كيفية الإحياء، فإنه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق".(٣)

٦- قال تعالى: ﴿ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ۝٣٢ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ۝٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ۝٣٤ ﴾ (٤)

قال الإمام الرازي: "لما قال: ﴿ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ۝٣٢ ﴾ كان ذلك إشارة إلى الحشر، فذكر ما يدل على إمكانه؛ قطعاً لإنكارهم واستبعادهم وإصرارهم وعنادهم فقال: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا ﴾ كذلك نحيي الموتى".(٥)

٧- قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ (٦)

---

(١) تفسير الطبري ٥٥/٢١
(٢) سورة فاطر، الآية: ٩
(٣) تفسير البيضاوي ٤١٢/٤، ٤١٣
(٤) سورة يس، الآيات: ٣٢ – ٣٤
(٥) التفسير الكبير ٥٧/٢٦
(٦) سورة فصلت، الآية: ٣٩

أي ومن آياته الدالة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى إحياء الأرض بعد موتها، وفي ذلك دليل بيِّن.

قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الأرض دارسة غبراء لا نبات بها ولا زرع، فإذا أنزلنا من السماء غيثا على هذه الأرض الخاشعة اهتزت بالنبات يقول: تحركت به.

ثم يقول تعالى ذكره: إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات وجعلها تهتز بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها لقادر على أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم.

وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد على إحياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة، لا يعجز شيء أراده، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه".(١)

٨- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (٢)

ومعنى قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ "أن هذا الدليل كما يدل على قدرة الله وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة. ووجه التشبيه: أنه يجعلهم أحياء بعد الإماتة كهذه الأرض التي أنشرت بعد ما كانت ميتة".(٣)

٩- قال تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ

(١) تفسير الطبري ١٢٢/٢٤ باختصار، ويراجع: تفسير ابن كثير ١٠٣/٤

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١١

(٣) التفسير الكبير ١٦٩/٢٧، ١٧٠

ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [١]

فقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ معناه: "أن الله تبارك وتعالى يبين أن إحياء الأرض بعد موتها بإنبات النبات فيها بعد انعدامه واضمحلاله دليل على بعث الناس بعد الموت بعد كونهم تراباً وعظاماً، فقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ يعني أن خروج الناس أحياء من قبورهم بعد الموت كخروج النبات من الأرض بعد عدمه بجامع استواء الجميع في أنه جاء بعد عدم، وهذا أحد براهين البعث التي يكثر الاستدلال عليه بها في القرآن".[٢]

ففي الآيات السابقة استدلال بتغير أحوال النباتات – من حياة إلى موت فحياة – على قدرة الله على إحياء الموتى؛ إذ لو كان مستحيلا إعادة الحياة إلى الإنسان مرة أخرى لما عادت الحياة إلى النباتات المختلفة بعد موتها؛ لأن المشابهة واضحة في القدرة الإلهية في إعادة الحياتين سيرتهما الأولى، وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها، واكتساء الأشجار بعد عريها.

"فالذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحيائهم، فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية، كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية".[٣]

❁❁❁

(١) سورة ق، الآيات: ٩ – ١١

(٢) أضواء البيان ٤٢٤/٧

(٣) تفسير البيضاوي ٣٤٠٧/٤، تفسير أبي السعود ٦٥/٧ بتصرف يسير.

المبحث الثالث
الاستدلال بخلق السموات والأرض

خلق السموات والأرض أعظم من خلق الإنسان، والقادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه.

فخلق الإنسان وإعادة الحياة إليه بعد موته أهون من خلق السموات والأرض – وذلك بحسب مقاييس البشر – فإذا كان الله عز وجل قادراً على خلق هذه المخلوقات العظيمة – على ما فيها من دقة وإتقان وإبداع – فهو بالأولى أقدر على إعادة الحياة إلى الموتى؛ لأنه دون خلق السموات والأرض.

فهو من باب "قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى"[(١)]

ومن الآيات المقررة لهذا الدليل ما يلي:

١- قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾[(٢)]

قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره: الله الذي إليه مرجعكم أيها الناس جميعا ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ يقول: أفيعجز من خلق ذلك من غير شيء أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم".[(٣)]

٢- وقال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾[(٤)]

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/٢٦، الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٥٧،

(٢) سورة هود، الآية: ٧

(٣) تفسير الطبري ١٢/٣

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٩٨، ٩٩

استبعد المشركون البعث من منطلق أن الإنسان بعد أن يصير رفاتاً ورميماً يبعد أن يعود هو بعينه، ففند الله تعالى زعمهم، وقرر أن قدرة الله لا يستعصي عليها شيء.

وقد أوضح الإمام الرازي ذلك فقال : "وتلك الشبهة هي أن الإنسان بعد أن يصير رفاتاً ورميماً يبعد أن يعود هو بعينه. وأجاب الله تعالى عنه بأن من قدر على خلق السموات والأرض لم يبعد أن يقدر على إعادتهم بأعيانهم. فقوله:﴿ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ معناه: قادر على أن يخلقهم ثانياً، فعبر عن خلقهم ثانياً بلفظ المثل، كما يقول المتكلمون: إن الإعادة مثل الابتداء".(١)

أو بتعبير الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : أو لم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين:﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ بعيون قلوبهم فيعلمون أن الله الذي خلق السموات والأرض فابتدعها من غير شيء وأقامها بقدرته قادر بتلك القدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم وقبل ذلك، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا جديدا بعد أن يصيروا عظاما ورفاتا ".(٢)

٣- وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (٣)

قال ابن جزي: "هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذي قدر على خلق السموات والأرض على عظمهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بني آدم

(١) التفسير الكبير ٥٢/٢١ بتصرف.
(٢) تفسير الطبري ١٦٩/١٥، ١٧٠
(٣) سورة يس، الآيات: ٨١ – ٨٣

بعد فنائها".[١]

وقال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره منبها هذا الكافر الذي قال: من يحيي العظام وهي رميم على خطأ قوله وعظيم جهله: أو ليس الذي خلق السموات السبع والأرض بقادر على أن يخلق مثلكم فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض. يقول فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت وقوله بلى وهو الخلاق العليم يقول بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء الفعال لما يريد العليم بكل ما خلق ويخلق لا يخفى عليه خافية".[٢]

"فأخبر سبحانه أن الذي أبدع السموات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقتهما أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميما فيردها إلى حالتها الأولى".[٣]

٤- وقال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[٤]

يخبر الله تعالى في هذه الآية بأن خلق السموات والأرض أكبر وأعظم من خلق الناس، ومن ثم فخلق الناس وإحيائهم بعد موتهم هين على الله الذي خلق ما هو أعظم من ذلك.

قال الإمام الرازي: "واعلم أنه تعالى لما وصف جدالهم في آيات الله بأنه بغير سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالاً فقال: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١٦٧/٣
(٢) تفسير الطبري ٣٢/٢٣
(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٤٧٦/٢، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٦١
(٤) سورة غافر، الآية: ٥٧

ٱلنَّاسِ﴾، والقادر على الأكبر قادر على الأصغر لا محالة.

وتقرير هذا الكلام: أن الاستدلال بالشيء على غيره على ثلاثة أقسام: أحدها: أن يقال: لما قدر على الأضعف وجب أن يقدر على الأقوى. وهذا فاسد. وثانيها: أن يقال: لما قدر على الشيء قدر على مثله. فهذا استدلال حق؛ لما ثبت في العقول أن حكم الشيء حكم مثله. وثالثها: أن يقال: لما قدر على الأقوى الأكمل فلأن يقدر على الأقل كان أولى. وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة، ولا يرتاب فيه عاقل ألبتة.

ثم إن هؤلاء القوم يسلمون أن خالق السموات والأرض هو الله سبحانه وتعالى ويعلمون بالضرورة أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وكان من حقهم أن يقروا بأن القادر على خلق السموات والأرض يكون قادراً على إعادة الإنسان الذي خلقه أولاً. فهذا برهان جلي في إفادة هذا المطلوب. ثم إن هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه أكثر الناس، والمراد منهم الذين ينكرون الحشر والنشر، فظهر بهذا المثال أن هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا حجة، بل بمجرد الحسد والجهل والكبر والتعصب".(١)

٥- وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾(٢)

قال الإمام الرازي: " المقصود من هذه الآية إقامة الدلالة على كونه تعالى قادرا على البعث، والدليل عليه أنه تعالى أقام الدلائل في أول هذه السورة على أنه هو الذي خلق السموات والأرض، ولا شك أن خلقها أعظم وأفخم من إعادة هذا الشخص حيا بعد أن صار ميتا، والقادر على الأقوى الأكمل لا بد وأن يكون قادرا

(١) التفسير الكبير ٦٩/٢٧

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣

على الأقل والأضعف".[١]

وهذا – كما سبق – بالنسبة للمقاييس البشرية، وإلا فالكل عند الله سواء.

٦- وقال تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾[٢]

قال ابن جزي:"﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ ﴾ قصد به الاستدلال على البعث، فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها".[٣]

وقال الإمام الرازي: "ثم اعلم أنه تعالى لما ختم هذه القصة رجع إلى مخاطبة منكري البعث فقال ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾ والمقصود من هذا الاستدلال: الاستدلال على منكري البعث. فنبههم على أمر يعلم بالمشاهدة ؛ وذلك لأن خلق الإنسان على صغره وضعفه إذا أضيف إلى خلق السماء على عظمها وعظم أحوالها يسير. فبين تعالى أن خلق السماء أعظم، وإذا كان كذلك فخلقهم على وجه الإعادة أولى أن يكون مقدوراً لله تعالى، فكيف ينكرون ذلك. والمعنى: أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء، أي عندكم وفي تقديركم، فإن كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد".[٤]

فهذه الآيات جميعاً تدل على إمكان البعث ووقوعه بدليل خلق السموات والأرض، وهو أمر مشاهد محسوس. "فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك"[٥]

---

(١) التفسير الكبير – الرازي ٣٠/٢٨

(٢) سورة النازعات، الآيات: ٢٧ – ٣٣

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١٧٧/٤ باختصار.

(٤) التفسير الكبير ٤٠/٣١، ٤١ بتصرف واختصار.

(٥) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣٢/١

المبحث الرابع
الاستدلال بإخراج الضد من ضده

من الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه ما ورد ذكره في القرآن الكريم من قدرة الله تعالى على إخراج الأشياء من أضدادها. فالله تعالى يحي ويميت، ويخلق ويفني، ويُخْرِج الحي من الميت، ويُخْرِج الميت من الحي، ويجعل من الشجر الأخضر ناراً، والقادر على إخراج الضد من ضده قادر على بعث الحياة في الأموات.

قال الإمام الرازي: "إن الإحياء بعد الموت لا يستنكر إلا من حيث إنه يحصل الضد بعد حصول الضد، إلا أن ذلك غير مستنكر في قدرة الله تعالى؛ لأنه لما جاز حصول الموت عقيب الحياة فكيف يستبعد حصول الحياة مرة أخرى بعد الموت؟ فإن حكم الضدين واحد".(١)

ومن الآيات التي تشير إلى هذا الدليل:

١- قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢)

٢- قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾(٣)

وهاتان الآيتان من قبيل الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه بإخراج الضد من ضده، وهي عملية مستمرة دائبة في هذا الكون.

---

(١) التفسير الكبير ١٦/١٧

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٧

وفي هذا يقول صاحب الظلال:" تلك العملية الدائبة التي لا تكف ولا تني لحظة واحدة من لحظات الليل والنهار في كل مكان، على سطح الأرض، وفي أجواز[(١)] الفضاء، وفي أعماق البحار . . ففي كل لحظة يتم هذا التحول . بل هذه المعجزة الخارقة التي لا ننتبه إليها لطول الألفة والتكرار .

في كل لحظة يخرج حي من ميت ويخرج ميت من حي . وفي كل لحظة يتحرك برعم ساكن من جوف حبة أو نواة فيفلقها ويخرج إلى وجه الحياة، وفي كل لحظة يجف عود أو شجرة تستوفي أجلها فتتحول إلى هشيم أو حطام . ومن خلال الهشيم والحطام توجد الحبة الجديدة الساكنة المتهيئة للحياة والإنبات؛ ويوجد الغاز الذي ينطلق في الجو أو تتغذى به التربة، وتستعد للإخصاب .

وفي كل لحظة تدب الحياة في جنين . إنسان أو حيوان أو طائر . والجثة التي ترمى في الأرض وتختلط بالتربة وتشحنها بالغازات هي مادة جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات، فالحيوان والإنسان! ومثل هذا يتم في أغوار البحار وفي أجواز الفضاء على السواء .

إنها دورة دائبة عجيبة رهيبة لن يتأملها بالحس الواعي والقلب البصير، ويراها على هدى القرآن ونوره المستمد من نور الله .

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾[(٢)]. . فالأمر عادي واقعي لا غرابة فيه وليس بدعاً مما يشهده الكون في كل لحظة من لحظات الليل والنهار في كل مكان!" [(٣)]

---

(١) الأجواز: الأوساط، وجوز كل شيء: وسطه. (لسان العرب ٣٢٩/٥ "جوز")

(٢) سورة الروم، الآية: ١٩

(٣) في ظلال القرآن ٢٧٦٢/٥، ٢٧٦٣

٣- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[١]

و"المراد أنكم لما شاهدتم أنه تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، ثم شاهدتم أنه أخرج البدن الحي من النطفة الميتة مرة واحدة، فكيف تستبعدون أن يخرج البدن الحي من ميت التراب الرميم مرة أخرى؟ والمقصود الإنكار على تكذيبهم بالحشر والنشر. وأيضاً الضدان متساويان في النسبة، فكما لا يمتنع الانقلاب من أحد الضدين إلى الآخر وجب أن لا يمتنع الانقلاب من الثاني إلى الأول، فكما لا يمتنع حصول الموت بعد الحياة وجب أيضاً أن لا يمتنع حصول الحياة بعد الموت".[٢]

٤- قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٣]

فإخراج الحي من الميت والميت من الحي – كما قال ابن كثير – : "هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها ليدل على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب، والحب من النبات، والبيض من الدجاج، والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن".[٤]

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٥
(٢) التفسير الكبير ٧٧/١٣
(٣) سورة يونس، الآية: ٣١
(٤) تفسير ابن كثير ٤٢٩/٣

٥- قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[١]

أي "وكما يخرج الله الحياة من الموات في هذه الأرض، فكذلك يخرج الحياة من الموتى في نهاية المطاف . . إن المشيئة التي تبث الحياة في صور الحياة وأشكالها في هذه الأرض، هي المشيئة التي ترد الحياة في الأموات . وإن القدر الذي يجري بإخراج الحياة من الموات في الدنيا، لهو ذاته القدر الذي يجري بجريان الحياة في الموتى مرة أخرى".[٢]

٦- قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[٣]

قال الإمام الرازي: "ثم إنه تعالى عاد إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وإبطال إنكارهم وعنادهم فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ووجهه: هو أن الإنسان مشتمل على جسم يحس به وحياة سارية فيه، وهي كحرارة جارية فيه، فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه، فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب، وأنتم تحضرون حيث منه توقدون، وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات والأرض أكبر من خلق أنفسكم، فلا تستبعدوه، فإن الله خلق السموات والأرض، فبان لطف قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾".[٤]

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٩

(٢) في ظلال القرآن ١٢٩٩/٣، ١٣٠٠

(٣) سورة يس، الآيات: ٧٨ – ٨٠

(٤) التفسير الكبير – الرازي ٩٦/٢٦

٧- قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (١)

ووجه الاستدلال بالآية – كما قرره الإمام الرازي –: "أن النار صاعدة والشجرة هابطة، وأيضا النار لطيفة والشجرة كثيفة، وأيضا النار نورانية والشجرة ظلمانية، والنار حارة يابسة والشجرة باردة رطبة، فإذا أمسك الله تعالى في داخل تلك الشجرة الأجزاء النورانية النارية، فقد جمع بقدرته بين هذه الأشياء المتنافرة، فإذا لم يعجز عن ذلك فكيف يعجز عن تركيب الحيوانات وتأليفها".(٢)

۞۞۞

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧١ – ٧٣

(٢) التفسير الكبير – الرازي ٢/١١٥

المبحث الخامس
الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم

من الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه ما ذكره القرآن الكريم من حصول اليقظة بعد النوم، وهي ظاهرة متكررة ومشاهدة، والنوم أشبه ما يكون بالموت، وحصول اليقظة بعد النوم أشبه ما تكون بالحياة بعد الموت.

ووجه الشبه بين النوم والموت: أن كلا منهما تتوقف فيه الأعضاء عن أداء وظائفها، ووجه الشبه بين اليقظة والبعث: أن الأعضاء في كلٍ منهما تعود إلى أداء وظائفها، مع شيء من الاختلاف بينهما. فكما تتم عملية النوم وعملية الاستيقاظ، تتم عملية الموت والحياة.

"والنوم واليقظة من الظواهر المألوفة في حياة الناس جميعاً، ولكن الناس يغفلون عن دلالتهما على البعث، والقرآن يوجِّهنا إلى تأمل هاتين الظاهرتين، لنستيقن من خلالهما قدرة الله على البعث، فما النوم إلا الموتة الصغرى، وما اليقظة إلا صورة مصغرة للبعث الأكبر". (١)

ومن الآيات الدالة على ذلك:

١- قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٢)

---

(١) الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية : د. عبد الكريم نوفان عبيدات ص ٤٤٥

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٦٠ – ٦٢

قال الإمام الطبري: "وهذا الكلام وإن كان خبرا من الله تعالى عن قدرته وعلمه فإن فيه احتجاجا على المشركين به الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم "(١)

٢- قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٢)

قال الإمام الرازي: "والمراد منه الاستدلال بحصول هذه الأحوال على صحة البعث والحشر والنشر".(٣)

ولذلك علمنا رسولنا ﷺ أن نتذكر هذا الأمر كل صباح ومساء، ووجهنا إلى أن نستصحب هذه الحقيقة عند نومنا وعند يقظتنا، حتى لا نغفل عن الموت، ولا نجحد البعث. فعلمنا ﷺ أن نقول عند النوم: « **بِاسْمِكَ ربي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إن أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ** » (٤)

وأن نقول عند اليقظة: « **الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي عَافَانِي في جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لي بِذِكْرِهِ** » (٥)

---

(١) تفسير الطبري ٢١٤/٧

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢

(٣) التفسير الكبير ١٦/١٧

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – واللفظ له – ٢٣٢٩/٥ رقم ٥٩٦١ كِتَاب الدَّعَوَاتِ، بَاب التَّعَوُّذِ وَالْقِرَاءَةِ عِنْدَ النوم، ٢٦٩١/٦ رقم ٦٩٥٨ كِتَاب التَّوْحِيدِ، بَاب السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالاسْتِعَاذَةِ بها، ومسلم في صحيحه ٢٠٨٤/٤، ٢٠٨٥ رقم ٢٧١٤ كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، بَاب ما يقول عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، وأخرجه غيرهما.

(٥) أخرجه بلفظه: الترمذي في سننه ٤٧٢/٥ رقم ٣٤٠١ كِتَاب الدَّعَوَاتِ عن رسول اللَّهِ ﷺ، بَاب منه – أي مما جاء في الدُّعَاءِ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ – والنسائي في السنن الكبرى= =٢١٧/٦ رقم

وكان النبي ﷺ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ قال: « **بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا** » وإذا قام قال: « **الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أَحْيَانَا بَعْدَ ما أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ».(١)

***

١٠٧٠٢ كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انتبه من منامه، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص١٢، رقم ٩، ص٤٩٦ رقم ٨٦٦، وقال النووي: صحيح. (ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ٧٢/١)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – واللفظ له – ٢٣٢٦/٥ رقم ٥٩٥٣ كِتَاب الدَّعَوَاتِ، بَاب ما إذا نَامَ،، ٢٣٢٧/٥ رقم ٥٩٥٥ نفس الكتاب، بَاب وَضْعِ الْيَدِ الْيُمْنَى تَحْتَ الْخَدِّ اليمنى، ٢٣٣٠/٥ رقم ٥٩٦٥، ٥٩٦٦، نفس الكتاب، بَاب ما يقول إذا أَصْبَحَ، ٢٦٩٢/٦ رقم ٦٩٥٩، ٦٩٦٠ كِتَاب التَّوْحِيدِ، بَاب السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالاسْتِعَاذَةِ بها، ومسلم في صحيحه ٢٠٨٣/٤ رقم ٢٧١١ كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، بَاب ما يقول عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، وأخرجه غيرهما.

المبحث السادس
الاستدلال بتعاقب الليل والنهار

من الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه ما أشار إليه القرآن الكريم من تعاقب الليل والنهار.

وهي ظاهرة متكررة ومشاهدة، والليل شبيه بالموت، إذ فيه يسلب الله عز وجل الضوء من الأرض فيكون الظلام والسكون، والنهار شبيه بالبعث بعد الموت؛ إذ فيه يعود الضياء إلى الأرض وتعود الحركة بعد السكون.

واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما بيد الله عز وجل، "فهو الذي يملكه ويصرفه كاختلاف الموت والحياة، وهو سنة كونية كسنة الموت والحياة . هذه في النفوس والأجساد، وهذه في الكون والأفلاك . وكما يسلب الحياة من الحي فيعتم جسده ويهمد، كذلك هو يسلب الضوء من الأرض فتعتم وتسكن . ثم تكون حياة ويكون ضياء، يختلف هذا على ذاك، بلا فتور ولا انقطاع إلا أن يشاء الله".(١)

ومن الآيات الدالة على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾(٢)

قال الإمام الرازي: "ثم إنه تعالى بعد ذكر هذه الدلائل قال:﴿ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ فخصها بالمتقين لأنهم يحذرون العاقبة، فيدعوهم الحذر إلى التدبر والنظر. قال القفال: من تدبر في هذه الأحوال علم أن الدنيا مخلوقة لشقاء الناس

(١) في ظلال القرآن ٢٤٧٧/٤

(٢) سورة يونس، الآيات: ٦ – ٨

فيها، وأن خالقها وخالقهم ما أهملهم، بل جعلها لهم دار عمل. وإذا كان كذلك فلا بد من أمر ونهي، ثم من ثواب وعقاب؛ ليتميز المحسن عن المسيء. فهذه الأحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بإثبات المبدأ وإثبات المعاد".

ثم قال: "اعلم أنه تعالى لما أقام الدلائل القاهرة على صحة القول بإثبات الإله الرحيم الحكيم، وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر، شرع بعده في شرح أحوال من يكفر بها، وفي شرح أحوال من يؤمن بها".(١)

٢- قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(٢)

قال الإمام الطبري: "﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي يحيي خلقه. ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ يقول: ويميتهم بعد أن أحياهم. ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ يقول: وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين. وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يقول: أفلا تعقلون أيها الناس أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه".(٣)

"وأعقب ذكر الحشر بذكر الإحياء لأن البعث إحياء ؛ إدماجاً للاستدلال على إمكان البعث ووقوعه في الاستدلال على عموم التصرف في العالم .

وأما ذكر الإماتة فلمناسبة التضاد، ولأن فيها دلالة على عظيم القدرة والقهر . ولما كان من الإحياء خلْق الإيقاظ، ومن الإماتة خلق النوم عطف على ذلك أن

(١) التفسير الكبير ٣١٨/١٧

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٧٩ – ٨٣

(٣) تفسير الطبري ٤٦/١٨ باختصار.

بقدرته اختلاف الليل والنهار لتلك المناسبة، ولأن في تصريف الليل والنهار دلالة على عظيم القدرة والعلم وعلى وقوع البعث.

واللام في ﴿ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ للملك، أي بقدرته تصريف الليل والنهار، فالنهار يناسب الحياة، ولذلك يسمى الهبوب في النهار بعثاً، والليلُ يناسب الموت، ولذلك سمى الله النوم وفاةً في قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ (١).

ولما كانت هذه الأدلة تفيد من نظر فيها علماً بأن الإله واحد وأن البعث واقع، وكان المقصودون بالخطاب قد أشركوا به، ولم يهتدوا بهذه الأدلة، جُعلوا بمنزلة غير العقلاء، فأنكر عليهم عدم العقل بالاستفهام الإنكاري المفرع على الأدلة الأربعة بالفاء في قوله: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾.

وهذا تذييل راجع إلى قوله: ﴿ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ وما بعده".(٢)

٣- قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾(٣)

"والنشور: بعث الأموات، وهو إدماج للتذكير بالبعث وتعريض بالاستدلال على من أحالوه، بتقريبه بالهبوب في النهار . وفي هذا المعنى قول النبي ﷺ إذا أصبح: « **الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أَحْيَانَا بَعْدَ ما أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** » (٤)

والنشور: الحياة بعد الموت. وهو هنا يحتمل معنيين: أن يكون مراداً به البروز والانتشار، فيكون ضد اللباس في قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا ﴾ فيكون

(١) سورة الأنعام، من الآية: ٦٠
(٢) التحرير والتنوير ١٠٥/١٨، ١٠٦ باختصار.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٧
(٤) سبق تخريجه في ختام المبحث الخامس في الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم.

الإخبار به عن النهار حقيقياً، والمنّة في أن النهار ينتشر فيه الناس لحوائجهم واكتسابهم. ويحتمل أن يكون مراداً به بعث الأجساد بعد موتها، فيكون الإخبار على طريقة التشبيه البليغ" (١).

هذا بالإضافة إلى العديد من الآيات التي تتحدث عن اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وفي هذا دلالة حسية واضحة على إمكان البعث ووقوعه بعد الموت.

۞۞۞

(١) التحرير والتنوير ١٩/٤٥، ٤٦

المبحث السابع

الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم

أخبر الله تعالى في كتابه الكريم بما وقع من البعث الحسي المشاهد في الحياة الدنيا، حيث أرى الله تعالى عباده إحياء الموتى عياناً في هذه الدنيا، وهي أمثلة حسِّيَّة واقعة، تدل دلالة قاطعة على إمكان إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة، وهو أقوى الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه.

وبيان ذلك فيما يلي:

١- ما ذكره الله تعالى عن بني إسرائيل من أنهم امتنعوا عن الإيمان بالله تعالى حتى يروا الله تعالى جهرة(١)، فأرسل الله عليهم صاعقة فأهلكتهم جميعاً، ثم مَنَّ الله تعالى عليهم بالإحياء مرة ثانية، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢).

"والظاهر أن هذا القول وقع منهم بعد العفو عن عبادتهم العجل كما هو ظاهر ترتيب الآيات. وقوله: ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ ﴾ أي عقوبة لهم عما بدا منهم من العجرفة وقلة الاكتراث بالمعجزات.

والصاعقة نار كهربائية من السحاب تحرق من أصابته، وقد لا تظهر النار ولكن يصل هواؤها إلى الأحياء فيختنقون بسبب ما يخالط الهواء الذي يتنفسون فيه من الحوامض الناشئة عن شدة الكهربائية، وقد قيل: إن الذي أصابهم نار، وقيل: سمعوا صعقة فماتوا.

---

(١) أي جهاراً عياناً بحاسة البصر. (صفوة البيان لمعاني القرآن- للشيخ حسنين مخلوف، ص ١٦)
(٢) سورة البقرة، الآيتان:٥٥، ٥٦

وقوله: ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ مفعول تنظرون محذوف، وتنظرون بمعنى تحدقون الأنظار عند رؤية السحاب على جبل الطور طمعا أن يظهر لهم الله من خلاله؛ لأنهم اعتادوا أن الله يكلم موسى كلاما يسمعه من خلال السحاب، ففائدة الحال: إظهار أن العقوبة أصابتهم في حين الإساءة والعجرفة إذ طمعوا فيما لم يكن لينال لهم.

وقوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ إيجاز بديع، أي فمتم من الصاعقة، وهذا خارق عادة الله معجزة لموسى استجابة لدعائه وشفاعته، أو كرامة لهم من بعد تأديبهم إن كان السائلون هم السبعين، فإنهم من صالحي بني إسرائيل".(١)

٢- **ما ذكره الله تعالى في شأن القتيل المختلف فيمن قتله،** فأمر الله تعالى بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، ثم يضربوا القتيل بعضو من أعضائها، ولما فعلوا ذلك قام من مقامه وأخبرهم بمن قتله. فقد روي أنهم لما ضربوه قام حياً بإذن الله، وقال: قتلني فلان وفلان – لابني عمه – ثم سقط ميتاً.(٢)

فكان في هذا دليل قاطع على قدرة الله تعالى على بعث الموتى، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾(٣)

"وظاهر الكلام يدل على أن الله تعالى قال لبني إسرائيل: إحياء الله تعالى لسائر الموتى يكون مثل هذا الإحياء الذي شاهدتم؛ لأنهم وإن كانوا مؤمنين بذلك إلا أنهم لم

(١) التحرير والتنوير ٥٠٥/١ – ٥٠٨ باختصار.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٥/١ رقم ٧٥٤، ويراجع: تفسير الثعلبي ٢٢٠/١، التفسير الكبير ١١٥/٣، تفسير البحر المحيط ٤٢٥/١، تفسير ابن كثير ١١٣/١

(٣) سورة البقرة، الآيتان:٧٢، ٧٣

يؤمنوا به إلا من طريق الاستدلال، ولم يشاهدوا شيئاً منه، فإذا شاهدوه اطمأنت قلوبهم وانتفت عنهم الشبهة التي لا يخلو منها المستدل".[١]

٣- ما أخبر الله سبحانه به عن القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فكتب الله عليهم الموت، فماتوا، ثم أحياهم الله مرة ثانية، وفي هذا أكبر دليل على إمكان البعث ووقوعه بعد الموت.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[٢]

عن ابن عباس – رضي الله عنهما- قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون، وقالوا: نأتي أرضا ليس بها موت، فقال لهم الله: موتوا، فماتوا، فمر بهم نبي، فسأل الله أن يحييهم فأحياهم، فهم الذين قال الله – عز وجل -: ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾. [٣]

قال ابن كثير: "وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل استوخموا[٤] أرضهم، وأصابهم بها وباء شديد، فخرجوا فرارا من

(١) التفسير الكبير ١١٦/٣

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥٨٦/٢، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣٠٩/٢ رقم ٣١١٣ كتاب التفسير، من سورة البقرة، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: ميسرة لم يرويا له. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٧٤١/١ وعزاه إلى وكيع والفريابي وابن جرير وابن المنذر والحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) استوخم المكان: استثقله، ولم يوافقه سكنه. (المعجم الوسيط ١٠١٩/٢)

الموت، هاربين إلى البرية[١]، فنزلوا واديا أفيح[٢]، فملأوا ما بين عدوتيه[٣]، فأرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي، والآخر من أعلاه، فصاحا بهم صيحة واحدة، فماتوا عن آخرهم موته رجل واحد، فحيزوا إلى حظائر[٤] وبني عليهم جدران، وفنوا وتمزقوا وتفرقوا، فلما كان بعد دهر مَرَّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل، فسأل الله أن يحييهم على يديه، فأجابه إلى ذلك، فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة، وهم يقولون: سبحانك لا إله إلا أنت. وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة."[٥]

قلت: الذي يؤيده سياق الآيات أنهم قوم من بني إسرائيل فروا من الجهاد حين أمرهم الله به؛ لأن الآيات تحرض المؤمنين على القتال في سبيل الله، وتسوق لهم هذه القصة لكي يعتبروا ولا يتخلفوا عن الجهاد، كما أنه لا حاجة إلى هذه التفاصيل التي لم يرد بها حديث صحيح عن رسول الله ﷺ.

ولهذا قال ابن عطية: "وهذا القصص كله لين الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمدا ﷺ أخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت، فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم، ليروا هم وكل من

---

(١) البرية: الصحراء، نسبت إلى البر. (المصباح المنير ٤٣/١ "البر"، لسان العرب ٥٥/٤ "برر")

(٢) فاح الوادي: اتسع، فهو أفيح، وروضة فيحاء: واسعة، وكل موضع واسع يقال له: أفيح. (المصباح المنير ٤٨٥/٢ "فاح"، لسان العرب ٥٥١/٢ "فيح")

(٣) عدوتيه: أي جانبيه، وعدوة الوادي: جانبه. (المصباح المنير ٣٩٨/٢ "عدا"، المحكم والمحيط الأعظم ٣١٨/٢ "عدو")

(٤) الحَظَائِرُ جمع حَظِيرَة. والحَظِيرَةُ: ما أحاط بالشيء، وهي تكون من قصب وخشب. والحظيرة: الموضع يحاط عليه لتأوي إليه الماشية، يقيها البرد والريح، وجرين التمر. (تاج العروس ٥٦/١١ "حظر"، المعجم الوسيط ١٨٣/١ "حظر"، لسان العرب ٢٠٣/٤ "حظر")

(٥) تفسير ابن كثير ٢٩٩/١ بتصرف يسير.

خلف بعدهم أن الإماتة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولاغترار مغتر وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد بالجهاد. هذا قول الطبري(١)، وهو ظاهر رصف الآية".(٢)

ويعجبني في هذا المقام قول صاحب الظلال: "لا أحب أن نذهب في تيه التأويلات، عن هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . . من هم؟ وفي أي أرض كانوا؟ وفي أي زمان خرجوا؟ فلو كان الله يريد بياناً عنهم لبين، كما يجيء القصص المحدد في القرآن. إنما هذه عبرة وعظة يراد مغزاها، ولا تراد أحداثها وأماكنها وأزمانها. وتحديد الأماكن والأزمان لا يزيد هنا شيئاً على عبرة القصة ومغزاها.

ما يراد هنا تصحيح التصور عن الموت والحياة، وأسبابهما الظاهرة، وحقيقتهما المضمرة؛ ورد الأمر فيهما إلى القدرة المدبرة . والاطمئنان إلى قدر الله فيهما . والمضي في حمل التكاليف والواجبات دون هلع ولا جزع، فالمقدر كائن، والموت والحياة بيد الله في نهاية المطاف . .

يراد أن يقال : إن الحذر من الموت لا يجدي؛ وإن الفزع والهلع لا يزيدان حياة، ولا يمدان أجلاً، ولا يردان قضاء؛ وإن الله هو واهب الحياة، وهو آخذ الحياة؛ وإنه متفضل في الحالتين : حين يهب، وحين يسترد؛ والحكمة الإلهية الكبرى كامنة خلف الهبة وخلف الاسترداد . وإن مصلحة الناس متحققة في هذا وذاك؛ وإن فضل الله عليهم متحقق في الأخذ والمنح سواء.

---

(١) يراجع: تفسير الطبري ٥٩١/٢

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٢٨/١، ويراجع: تفسير الثعالبي ١٨٩/١، تفسير القرطبي ٢٣٠/٣، ٢٣١

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ (١)

إن تجمع هؤلاء القوم ﴿ وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ وخروجهم من ديارهم ﴿ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ . . لا يكون إلا في حالة هلع وجزع، سواء كان هذا الخروج خوفاً من عدو مهاجم، أو من وباء حائم . . إن هذا كله لم يغن عنهم من الموت شيئاً :

﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ﴾. . كيف قال لهم؟ كيف ماتوا؟ هل ماتوا بسبب مما هربوا منه وفزعوا؟ هل ماتوا بسبب آخر من حيث لم يحتسبوا؟ كل ذلك لم يرد عنه تفصيل، لأنه ليس موضع العبرة . إنما موضع العبرة أن الفزع والجزع والخروج والحذر، لم تغير مصيرهم، ولم تدفع عنهم الموت، ولم ترد عنهم قضاء الله . وكان الثبات والصبر والتجمل أولى لو رجعوا لله .

﴿ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ ﴾. . كيف؟ ذلك كذلك لم يرد عنه تفصيل . فلا ضرورة لأن نذهب وراءه في التأويل، لئلا نتيه في أساطير لا سند لها كما جاء في بعض التفاسير . . إنما الإيحاء الذي يتلقاه القلب من هذا النص أن الله وهبهم الحياة من غير جهد منهم . في حين أن جهدهم لم يرد الموت عنهم .

إن الهلع لا يرد قضاء؛ وإن الفزع لا يحفظ حياة؛ وإن الحياة بيد الله هبة منه بلا جهد من الأحياء . . إذن فلا نامت أعين الجبناء!" (٢)

٤- ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن قصة الرجل الذي مَرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، فلما تفكر فيما آل إليه أمرها استبعد إحياءها مرة ثانية، فجعل الله تعالى له العبرة في نفسه وفي من حوله، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، فرأى بعينيه أعظم آية تدل على البعث.

وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٤٣

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٢٦٣، ٢٦٤ بتصرف يسير.

عُرُوشِهَا(١) قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ (٢) وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا(٣) ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (٤)

"من هو الذي مر على قرية ؟ ما هذه القرية التي مر عليها وهي خاوية على عروشها؟ إن القرآن لم يفصح عنهما شيئاً، ولو شاء الله لأفصح، ولو كانت حكمة النص لا تتحقق إلا بهذا الإفصاح ما أهمله في القرآن. فلنقف نحن عند تلك الظلال. إن المشهد ليرتسم للحس قوياً واضحاً موحياً. مشهد الموت والبلى والخواء . . يرتسم بالوصف :﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ . . محطمة على قواعدها . ويرتسم من خلال مشاعر الرجل الذي مر على القرية. هذه المشاعر التي ينضح بها تعبيره: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾ . .

إن القائل ليعرف أن الله هناك . ولكن مشهد البلى والخواء ووقعه العنيف في حسه جعله يحار : كيف يحيي هذه الله بعد موتها؟ وهذا أقصى ما يبلغه مشهد من

---

(١) ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ أي ساقطة حيطانها على سقوفها التي سقطت. يقال: خَوِيَ البيت، أي سقط. أو خالية من الناس، ثابتة على عروشها. يقال: خَوَت الدار تَخْوي خُوِيًّا وخَوَاءً، أي خلت. والعروش جمع عَرْش، وهو سقف البيت. (صفوة البيان لمعاني القرآن ص ٦٣ بتصرف يسير)

(٢) ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ أي لم يتغير بمر السنين الطويلة عليه، ولم تذهب طراوته، فكأنه لم تمر عليه السنون. مشتق من السَّنة. (صفوة البيان لمعاني القرآن ص ٦٣)

(٣) ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ أي نرفعها من أماكنها من الأرض، فنردها إلى أماكنها من الجسم، ونؤلف بينها. من الإنشاز، وهو الرفع. (صفوة البيان لمعاني القرآن ص ٦٣)

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩

العنف والعمق في الإيحاء . . وهكذا يلقي التعبير القرآني ظلاله وإيحاءاته، فيرسم المشهد كأنما هو اللحظة شاخص تجاه الأبصار والمشاعر .

﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾. . كيف تدب الحياة في هذا الموات؟

﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ . . لم يقل له كيف . إنما أراه في عالم الواقع كيف! فالمشاعر والتأثرات تكون أحياناً من العنف والعمق بحيث لا تعالج بالبرهان العقلي، ولا حتى بالمنطق الوجداني؛ ولا تعالج كذلك بالواقع العام الذي يراه العيان . . إنما يكون العلاج بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة، التي يمتلئ بها الحس، ويطمئن بها القلب، دون كلام!

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ . .

وما يدريه كم لبث والإحساس بالزمن لا يكون إلا مع الحياة والوعي؟ على أن الحس الإنساني ليس هو المقياس الدقيق للحقيقة؛ فهو يخدع ويضل؛ فيرى الزمن الطويل المديد قصيراً لملابسة طارئة؛ كما يرى اللحظة الصغيرة دهراً طويلاً لملابسة طارئة كذلك!

﴿ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ ﴾ . .

وتبعاً لطبيعة التجربة، وكونها تجربة حسية واقعية، نتصور أنه لا بد كانت هنالك آثار محسوسة تصور فعل مائة عام .

هذه الآثار المحسوسة لم تكن في طعام الرجل ولا شرابه، فلم يكونا آسنين متعفنين : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ . .

وإذن فلا بد أن هذه الآثار المحسوسة كانت متمثلة في شخصه أو في حماره: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾. .

أية عظام؟ عظامه هو؟ لو كان الأمر كذلك – كما يقول بعض المفسرين: إن

عظامه هي التي تعرت من اللحم – للفت هذا نظره عندما استيقظ، ووخز حسه كذلك، ولما كانت إجابته : ﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾.

لذلك نرجح أن الحمار هو الذي تعرت عظامه وتفسخت . ثم كانت الآية هي ضم هذه العظام بعضها إلى بعض وكسوتها باللحم وردها إلى الحياة . على مرأى من صاحبه الذي لم يمسه البلى، ولم يصب طعامه ولا شرابه التعفن . ليكون هذا التباين في المصائر والجميع في مكان واحد، معرضون لمؤثرات جوية وبيئية واحدة، آية أخرى على القدرة التي لا يعجزها شيء، والتي تتصرف مطلقة من كل قيد؛ وليدرك الرجل كيف يحيي هذه الله بعد موتها!

وهكذا قال الرجل الذي مرت به التجربة : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ . ." (١)

أي فلما تبين له بالمشاهدة الحسية قدرة الله تعالى على الإحياء والبعث بعد الموت قال أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأنه لا يعجزه شيء .

وقد جعل الله هذه القصة آية للناس ودلالة حسية على البعث بعد الموت، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ .

قال الإمام الرازي: "**فإن قيل:** ما الفائدة في إماتة الله له مائة عام مع أن الاستدلال بالإحياء بعد يوم أو بعض يوم حاصل؟ **قلنا:** لأن الإحياء بعد تراخي المدة أبعد في العقول من الإحياء بعد قرب المدة، وأيضاً فلأن بعد تراخي المدة ما يشاهَد منه ويشاهِد هو من غيره أعجب".(٢)

٥- ما أخبر الله به عن قصة إبراهيم – عليه السلام – حين سأل ربه عن كيفية إحياء الموتى، فأمره الله عز وجل أن يقطع أربعة من الطير، ويجعلهن أجزاء

(١) في ظلال القرآن ٢٩٩/١ – ٣٠١ باختصار.
(٢) التفسير الكبير ٢٩/٧

على عدد من الجبال ثم يدعوهن، ففعل، فعدن أحياء مرة ثانية كما كن من قبل. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾[1]

وقد ذكر المفسرون في سبب سؤال إبراهيم – عليه السلام – وجوهاً [2].

والذي يتناسب مع مقام النبوة أن إبراهيم – عليه السلام – لم يسأل ربه عن كيفية إحيائه الموتى لنقص في إيمانه بقدرة الله على ذلك، وإنما تشوفت نفسه إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية، وأراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل.

ومن ثَمَّ "قال الجمهور: لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة؛ لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيات، فسأل ذلك السؤال، ويدل على ذلك قوله: كيف؟ فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته، لا عن وقوعه".[3]

قال صاحب الظلال: "إنه التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية . وحين يجيء هذا التشوف من إبراهيم الأواه الحليم، المؤمن الراضي الخاشع العابد القريب الخليل . . حين يجيء هذا التشوف من إبراهيم فإنه يكشف عما يختلج أحياناً من الشوق والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الإلهية في قلوب أقرب المقربين!

إنه تشوف لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره؛ وليس طلباً للبرهان أو تقوية للإيمان . . إنما هو أمر آخر . . له مذاق آخر. إنه أمر الشوق الروحي، إلى ملابسة السر الإلهي، في أثناء وقوعه العملي . ومذاق هذه التجربة في الكيان البشري

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠

(٢) يراجع في بيان هذه الوجوه: تفسير الطبري ٤٧/٣ – ٥١، التفسير الكبير ٣٤/٧، ٣٥، تفسير ابن كثير ٣١٦/١

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٩١/١

مذاق آخر غير مذاق الإيمان بالغيب ولو كان هو إيمان إبراهيم الخليل، الذي يقول لربه، ويقول له ربه .

وليس وراء هذا إيمان، ولا برهان للإيمان . ولكنه أراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل؛ ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيستروح بها، ويتنفس في جوها، ويعيش معها . . وهي أمر آخر غير الإيمان الذي ليس بعده إيمان .

وقد كشفت التجربة والحوار الذي حكي فيها عن تعدد المذاقات الإيمانية في القلب الذي يتشوف إلى هذه المذاقات ويتطلع :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾. .

لقد كان ينشد اطمئنان الأنس إلى رؤية يد الله تعمل، واطمئنان التذوق للسر المحجب وهو يجلى ويتكشف . ولقد كان الله يعلم إيمان عبده وخليله . ولكنه سؤال الكشف والبيان، والتعريف بهذا الشوق وإعلانه، والتلطف من السيد الكريم الودود الرحيم، مع عبده الأواه الحليم المنيب!

ولقد استجاب الله لهذ الشوق والتطلع في قلب إبراهيم، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة:﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾. .

لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن منه ويميلهن إليه، حتى يتأكد من مميزاتهن التي لا يخطئ معها معرفتهن . وأن يذبحهن ويمزق أجسادهن، ويفرق أجزاءهن على الجبال المحيطة، ثم يدعوهن، فتتجمع أجزاؤهن مرة أخرى، وترتد إليهن الحياة، ويعدن إليه ساعيات . . وقد كان طبعاً . .

ورأى إبراهيم السر الإلهي يقع بين يديه . وهو السر الذي يقع في كل لحظة . ولا يرى الناس إلا آثاره بعد تمامه . إنه سر هبة الحياة . الحياة التي جاءت أول مرة بعد

أن لم تكن؛ والتي تنشأ مرات لا حصر لها في كل حي جديد .

رأى إبراهيم هذا السر يقع بين يديه . . طيور فارقتها الحياة، وتفرقت مزقها في أماكن متباعدة . تدب فيها الحياة مرة أخرى، وتعود إليه سعياً!

كيف؟ هذا هو السر الذي يعلو على التكوين البشري إدراكه . إنه قد يراه كما رآه إبراهيم . وقد يصدق به كما يصدق به كل مؤمن . ولكنه لا يدرك طبيعته ولا يعرف طريقته . إنه من أمر الله . والناس لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . وهو لم يشأ أن يحيطوا بهذا الطرف من علمه، لأنه أكبر منهم، وطبيعته غير طبيعتهم . ولا حاجة لهم به في خلافتهم .

إنه الشأن الخاص للخالق، الذي لا تتطاول إليه أعناق المخلوقين، فإذا تطاولت لم تجد إلا الستر المسدل على السر المحجوب، وضاعت الجهود سدى، جهود من لا يترك الغيب المحجوب لعلام الغيوب!" (١)

ومن ثَمَّ ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ "«عَزِيزٌ» لا يمتنع عليه ما يريد، «حَكِيمٌ» فيما يريد ويمثل، والعزة تتضمن القدرة ؛ لأن الغلبة تكون عن العزة. وقيل: «عَزِيزٌ»: منتقم ممن ينكر بعث الأموات، «حَكِيمٌ»: في نشر العظام الرفات".(٢)

٦- **ما أخبر الله به من قصة أصحاب الكهف**، حيث كتب الله عليهم النوم في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ثم بعثهم بعد ذلك لم يتغير منهم شيء.

قال تعالى في شأنهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ

(١) في ظلال القرآن ٣٠١/١، ٣٠٢ بتصرف يسير.

(٢) تفسير البحر المحيط ٣١٢/٢

وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ (١)

وقد جعل الله تعالى قصة أصحاب الكهف آية حسية دالة على بعث الأجساد من القبور، في زمان شك فيه بعض الناس في أمر الحشر والبعث، وقالوا: إنما تحشر الأرواح، واستبعدوا بعث الأجساد، فجاءت هذه القصة لتقطع كل نزاع في هذا الأمر.

قال ابن كثير: "ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث، في أمر القيامة. وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح، ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك".(٢)

"إن العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث بمثل واقعي قريب محسوس . يقرب إلى الناس قضية البعث . فيعلموا أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة لا ريب فيها . . وعلى هذا النحو بعث الفتية من نومتهم وأعثر قومهم عليهم".(٣)

٧- ما أخبر الله تعالى به عن عيسى - عليه السلام - من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله، قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ...﴾ (٤)

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٦ – ٢١

(٢) تفسير ابن كثير ٧٨/٣

(٣) في ظلال القرآن ٢٢٦٤/٤

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ٤٩

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ... ﴾ (١)

وقد وردت روايات كثيرة في كيفية إحياء عيسى للموتى، وفي عدد الذين أحياهم، وهل بقوا أحياء أو ماتوا على الفور؟ والحاصل: أن هذه الأمور لم يبينها الله تعالى لنا، ولم يرد بها حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، ولم يثبت في بيانها شيء، والبحث عنها لا طائل تحته، ولا فائدة فيه.

ومن ثم قال ابن عطية: "وفي قصص الإحياء أحاديث كثيرة لا يوقف على صحتها". (٢)

والذي يعنينا هو موطن العبرة، وهو أن إحياء عيسى للموتى بإذن الله دليل واضح على أن الله تعالى قادر على بعث الخلق وإحيائهم مرة ثانية، فما دام المخلوق استطاع إحياء الموتى بإذن الله، فالخالق يستطيع ذلك من باب أولى.

وقد "حرص النص على أن يذكر على لسان المسيح – عليه السلام – كما هو مقدر في غيب الله عند البشارة لمريم، وكما تحقق بعد ذلك على لسان عيسى – أن كل خارقة من هذه الخوارق التي جاءهم بها، إنما جاءهم بها من عند الله . وذَكَرَ (إذن الله) بعد كل واحدة منها تفصيلاً وتحديدا؛ ولم يدع القول يتم ليذكر في نهايته (إذن الله) زيادة في الاحتياط!

وهذه المعجزات في عمومها تتعلق بإنشاء الحياة أو ردها، أو رد العافية، وهي فرع عن الحياة . ورؤية غيب بعيد عن مدى الرؤية . . وهي في صميمها تتسق مع

(١) سورة المائدة، من الآية: ١١٠
(٢) المحرر الوجيز ١/٤٤٠

مولد عيسى – عليه السلام –؛ ومنحه الوجود والحياة على غير مثال إلا مثال آدم – عليه السلام – وإذا كان الله قادراً على أن يجري هذه المعجزات على يد واحد من خلقه، فهو قادر على خلق ذلك الواحد من غير مثال . . ولا حاجة إذن لكل الشبهات والأساطير التي نشأت عن هذا المولد الخاص متى رُدَّ الأمر إلى مشيئة الله الطليقة ولم يقيد الإنسانُ اللهَ – سبحانه – بمألوف الإنسان!" (١)

وهذه الأدلة المتقدمة أدلة مادية حسية، وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى، وهو برهان قطعي على القدرة الإلهية.

فهذه الوقائع "تدل على صحة الحشر والنشر؛ لأنه تعالى بَيَّنَ أنه أحيا هذه الأشياء بعد موتها في المرة الأولى، فوجب أن يصح ذلك في المرة الثانية".(٢)

۞۞۞

(١) في ظلال القرآن ٣٩٩/١

(٢) التفسير الكبير ١٤٠/٢

الفصل الثالث
الأدلة العقلية على إمكان البعث ووقوعه

ويشتمل على عدة مباحث:

المبحث الأول: الاستدلال بحكمة الله وعدله.

المبحث الثاني: الاستدلال بقدرة الله وعلمه.

المبحث الثالث: الاستدلال بأن اختلاف الناس لا ينتهي إلا بالبعث.

المبحث الأول
الاستدلال بحكمة الله وعدله.

فحكمة الله وعدله يقتضيان البعث؛ ولو لم تدل الدلائل الشرعية على إثبات البعث بعد الموت لكان في العقل أكبر دليل عليه، فنحن نرى الناس في هذه الحياة يظلم بعضهم بعض، ويعتدي بعضهم على بعض، وفيهم الصالح والفاسد، والمحق والمبطل، ثم يموتون دون جزاء ولا عقاب، فلو لم يكن هناك بعث ولا حياة أخرى لضاع حق المظلوم، ولأفلت الظالم من العقاب، ولمات المحسن دون أن يلقى ثواب إحسانه، والمسيء دون أن يلقى جزاء إساءته .

ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث الناس بعد موتهم، ليقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، ويقتص للمظلوم ممن ظلمه، ويجازى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

وتقرير هذا الدليل من وجوه(١):

"**أولها:** أنه تعالى خلق الخلق وأعطاهم عقولاً بها يميزون بين الحسن والقبيح، وأعطاهم قُدَرَاً بها يقدرون على الخير والشر. وإذا ثبت هذا فمن مقتضى حكمة الله تعالى وعدله أن يمنع الخلق عن شتم الله وذكره بالسوء، وأن يمنعهم عن الجهل والكذب وإيذاء أنبيائه وأوليائه، والصالحين من خلقه . ومن مقتضى حكمته أن يرغبهم في الطاعات والخيرات والحسنات، فإنه لو لم يمنع عن تلك القبائح، ولم يرغب في هذه الخيرات، قدح ذلك في كونه محسناً عادلاً ناظراً لعباده . ومن المعلوم أن الترغيب في الطاعات لا يمكن إلا بربط الثواب بفعلها، والزجر عن القبائح لا يمكن إلا بربط العقاب بفعلها، وذلك الثواب المرغب فيه، والعقاب المهدد به غير حاصل في دار

(١) ذكر الإمام الرازي هذه الوجوه كحجج على وجود المعاد في معرض حديثه عن إقامة الدلالة على أن المعاد حق واجب.

الدنيا . فلا بد من دار أخرى يحصل فيها هذا الثواب، وهذا العقاب، وهو المطلوب، وإلا لزم كونه كاذباً، وأنه باطل . وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِۚ ﴾ (١).

وبيان ذلك: أن العبد ما دامت حياته في الدنيا فهو كالأجير المشتغل بالعمل . والأجير حال اشتغاله بالعمل لا يجوز دفع الأجرة بكمالها إليه، لأنه إذا أخذها فإنه لا يجتهد في العمل . وأما إذا كان محل أخذ الأجرة هو الدار الآخرة كان الاجتهاد في العمل أشد وأكمل، وأيضاً نرى في هذه الدنيا أن أزهد الناس وأعلمهم مبتلى بأنواع الغموم والهموم والأحزان، وأجهلهم وأفسقهم في اللذات والمسرات، فعلمنا أن دار الجزاء يمتنع أن تكون هذه الدار فلا بد من دار أخرى، ومن حياة أخرى، ليحصل فيها الجزاء .

الوجه الثاني : أن صريح العقل يقتضي في حكمة الحكيم أن يفرق بين المحسن وبين المسيء، وأن لا يجعل من كفر به أو جحده بمنزلة من أطاعه، ولما وجب إظهار هذه التفرقة فحصول هذه التفرقة إما أن يكون في دار الدنيا، أو في دار الآخرة، والأول باطل ؛ لأنا نرى الكفار والفساق في الدنيا في أعظم الراحات، ونرى العلماء والزهاد بالضد منه، ولهذا المعنى قال تعالى :﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ..... ﴾ (٢)، فثبت أنه لا بد بعد هذه الدار من دار أخرى، لأن صريح العقل يوجب التفرقة، والحس يدل على أنه لم تحصل هذه التفرقة في الدنيا، بل كان الأمر على الضد منه، فإنا نرى العالم والزاهد في أشد البلاء، ونرى الكافر والفاسق في أعظم النعم. فعلمنا أنه لا بد من دار أخرى يظهر فيها هذا التفاوت. وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ وَعْدَ

(١) سورة يونس، من الآية: ٤

(٢) سورة الزخرف، من الآية: ٣٣

ٱللَّهِ حَقًّا ﴾[1]، وهو المراد أيضاً بقوله تعالى في سورة طه: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[2]، وبقوله تعالى في سورة ص: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[3]

الوجه الثالث : أنه تعالى كلف عبيده بالعبودية فقال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[4]، والحكيم إذا أمر عبده بشيء فلا بد وأن يجعله فارغ الباب منتظم الأحوال، حتى يمكنه الاشتغال بأداء تلك التكاليف، والناس جبلوا على طلب اللذات وتحصيل الراحات لأنفسهم، فلو لم يكن لهم زاجر من خوف المعاد لكثر الهرج والمرج ولعظمت الفتن، وحينئذ لا يتفرغ المكلف للاشتغال بأداء العبادات . فوجب القطع بحصول دار الثواب والعقاب لتنتظم أحوال العالم حتى يقدر المكلف على الاشتغال بأداء العبودية .

الوجه الرابع : أن السلطان القاهر إذا كان له جمع من العبيد، وكان بعضهم أقوياء وبعضهم ضعفاء، فإنه ينبغي على ذلك السلطان إن كان رحيماً مشفقاً عليهم أن ينتصف للمظلوم الضعيف من الظالم القادر القوي، فإن لم يفعل ذلك كان راضياً بذلك الظلم، والرضا بالظلم لا يليق بالرحيم المحسن .

إذا ثبت هذا فنقول : إنه سبحانه سلطان قاهر قادر حكيم منزه عن الظلم والعبث . ومن ثم فلابد أن ينتصف لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين، وهذا الانتصاف لم يحصل في هذه الدار، لأن المظلوم قد يبقى في غاية الذلة والمهانة، والظالم يبقى في

(١) سورة يونس، من الآية: ٤
(٢) سورة طه، الآية: ١٥
(٣) سورة ص، من الآية: ٢٨
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦

غاية العزة والقدرة، فلا بد من دار أخرى يظهر فيها هذا العدل وهذا الإنصاف، وهذه الحجة يصلح جعلها تفسيراً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾.(١)

الوجه الخامس: أنه تعالى خلق هذا العالم وخلق كل من فيه من الناس. فإما أن يقال : إنه تعالى خلقهم لا لمنفعة ولا لمصلحة، أو يقال : إنه تعالى خلقهم لمصلحة ومنفعة.

والأول لا يليق بالرحيم الكريم . **والثاني** – وهو أن يقال: إنه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير – فذلك الخير والمصلحة إما أن يحصل في هذه الدنيا أو في دار أخرى، **والأول باطل من وجهين : الأول** : أن لذَّات هذا العالم جسمانية، واللذات الجسمانية لا حقيقية لها إلا إزالة الألم، وإزالة الألم أمر عدمي، وهذا العدم كان حاصلاً حال كون كل واحد من الخلائق معدوماً، وحينئذ لا يبقى للتخليق فائدة . **والثاني** : أن لذَّات هذا العالم ممزوجة بالآلام والمحن، بل الدنيا طافحة بالشرور والآفات والمحن والبليات، واللذة فيها كالقطرة في البحر . فعلمنا أن الدار التي يصل فيها الخلق إلى تلك الراحات المقصودة دار أخرى سوى دار الدنيا .

الوجه السادس: لو لم يحصل للإنسان معاد لكان الإنسان أخس من جميع الحيوانات في المنزلة والشرف . واللازم باطل، فالملزوم مثله .

بيان الملازمة: أن مضار الإنسان في الدنيا أكثر من مضار جميع الحيوانات، فإن سائر الحيوانات قبل وقوعها في الآلام والأسقام تكون فارغة البال طيبة النفس، لأنه ليس لها فكر وتأمل . أما الإنسان فإنه بسبب ما يحصل له من العقل يتفكر أبداً

(١) سورة يونس، من الآية: ٤

في الأحوال الماضية والأحوال المستقبلة، فيحصل له بسبب أكثر الأحوال الماضية أنواع من الحزن والأسف، ويحصل له بسبب أكثر الأحوال الآتية أنواع من الخوف، لأنه لا يدري أنه كيف تحدث الأحوال . فثبت أن حصول العقل للإنسان سبب لحصول المضار العظيمة في الدنيا والآلام النفسانية الشديدة القوية . وأما اللذات الجسمانية فهي مشتركة بين الناس وبين سائر الحيوانات.

إذا ثبت هذا فنقول: لو لم يحصل للإنسان معاد به تكمل حالته وتظهر سعادته، لوجب أن يكون كمال العقل سبباً لمزيد الهموم والغموم والأحزان من غير جابر يجبر، ومعلوم أن كل ما كان كذلك فإنه يكون سبباً لمزيد الخسة والدناءة والشقاء والتعب الخالية عن المنفعة . فثبت أنه لولا حصول السعادة الأخروية لكان الإنسان أخس الحيوانات، ولمَّا كان ذلك باطلاً قطعاً، علمنا أنه لا بد من الدار الآخرة، وأن الإنسان خلق للآخرة لا للدنيا، وأنه بعقله يكتسب موجبات السعادات الأخروية.

الوجه السابع: أنه تعالى قادر على إيصال النعم إلى عبيده على وجهين : أحدهما : أن تكون النعم مشوبة بالآفات والأحزان . والثاني : أن تكون خالصة عنها، فلما أنعم الله تعالى في الدنيا بالمرتبة الأولى وجب أن ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار أخرى، إظهاراً لكمال القدرة والرحمة والحكمة، فهناك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين، ويزيل الغموم والهموم والشهوات والشبهات .

والذي يقوي ذلك ويقرر هذا الكلام: أن الإنسان حين كان جنيناً في بطن أمه، كان في أضيق المواضع وأشدها عفونة وفساداً، ثم إذا خرج من بطن أمه كانت الحالة الثانية أطيب وأشرف من الحالة الأولى، ثم إنه عند ذلك يوضع في المهد ويشد شداً وثيقاً، ثم بعد حين يخرج من المهد ويعدو يميناً وشمالاً، وينتقل من تناول اللبن إلى تناول الأطعمة الطيبة، وهذه الحالة الثالثة لا شك أنها أطيب من الحالة الثانية، ثم إنه بعد حين يصير أميراً نافذ الحكم على الخلق، أو عالماً مشرفاً على حقائق الأشياء، ولا

شك أن هذه الحالة الرابعة أطيب وأشرف من الحالة الثالثة . وإذا ثبت هذا وجب بحكم هذا الاستقراء أن يقال : الحالة الحاصلة بعد الموت تكون أشرف وأعلى وأبهج من اللذات الجسدانية والخيرات الجسمانية".(١)

ومن ثَمَّ "بَيَّنَ القرآن الكريم أنه لو لم تكن هناك حياة أخرى لكانت الحياة الدنيا عبثا، ولو لم يكن هناك يوم آخر يبعث فيه الناس ويحاسبون على أعمالهم التي قاموا بها في الحياة الدنيا، لكان الخلق كله باطلا، وهذا أمر لا يتفق مع حكمة الله تعالى وعدله، فالله تعالى خلق الإنسان لغايات معينة، وجعله كائنا مكلفا مسئولا، وربط هذا التكليف والمسئولية بالحساب والجزاء، ومن ثم نفى القرآن عدم الغاية والقصد من الخلق".(٢)

ومن الآيات المقررة لهذا المعنى ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾(٣)

قال ابن كثير: "﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ قائلين: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا ﴾ أي ما خلقت هذا الخلق عبثا، بل بالحق، لتجزى الذين أساؤا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى". (٤)

---

(١) التفسير الكبير ١٦/١٧ – ٢٠ باختصار وتصرف.

(٢) الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان – للدكتور/ أحمد محمد أحمد جلي ٣٢٤/٣٦، ٣٢٥، بحث منشور بمجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء – الرياض . الإصدار: من ربيع الأول إلى جمادى الثانية لسنة ١٤١٣ هـ.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩١

(٤) تفسير ابن كثير ٤٤٠/١

"والحياة فيها الخير والشر، ومن الناس المحسن والمسيء، المؤمن والكافر، الصالح والطالح، وقد تكون الغلبة في هذه الحياة للأشرار، وقد يفلت الظالمون والمجرمون من عاقبة ما ارتكبوا من آثام وجرائم".(١)

نعم إن من الخلق من يموت ظالما، ومنهم من يموت مظلوما، وعدل الله تعالى لا يسوي بين الظالم والمظلوم، ولا بين المحسن والمسيء؛ لأن من حكمة الله وعدله أن يحق الحق ويبطل الباطل، ويعطي كل ذي حق حقه، ويميز الخبيث من الطيب، ومن ثم اقتضت حكمته تعالى أن يكون هناك يوماً آخر يقف فيه الجميع بين يدي الله تعالى لينال كل عامل جزاء ما عمل من خير أو شر.

يقول صاحب الظلال: "وطبيعة هذا الكون كله من حولهم توحي بأن هذا الوجود قائم على الحق، ثابت على الناموس، لا يضطرب، ولا تتفرق به السبل، ولا تتخلف دورته، ولا يصطدم بعضه ببعض، ولا يسير وفق المصادفة العمياء، ولا وفق الهوى المتقلب، إنما يمضي في نظامه الدقيق المحكم المقدر تقديراً. وأن من مقتضيات هذا الحق الذي يقوم عليه الوجود أن تكون هناك آخرة، يتم فيها الجزاء على العمل، ويلقى الخير والشر عاقبتهما كاملة".(٢)

٢- قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾(٣)

قال الإمام الزمخشري: "﴿عَبَثًا﴾ حال أي عابثين، أو مفعول له، أي ما خلقناكم للعبث، ولم يدعنا إلى خلقكم إلاّ حكمة اقتضت ذلك، وهي أن نتعبكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي، ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء،

(١) الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان- للدكتور/ أحمد محمد أحمد جلي ٣٢٥/٣٦
(٢) في ظلال القرآن ٢٧٥٩/٥، ٢٧٦٠
(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥، ١١٦

فنثيب المحسن ونعاقب المسيء".(١)

و"الاستفهام في قوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ ﴾ للإنكار. والحسبان هنا معناه الظن، يعني: أظننتم أنا خلقناكم عبثاً لا لحكمة، وأنكم لا ترجعون إلينا يوم القيامة، فنجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ثم نزَّه – جل وعلا – نفسه عن أن يكون خلقهم عبثاً وأنهم لا يرجعون إليه للحساب والجزاء، فقال: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾".(٢)

3- قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه، ثم يجمعهم يوم الجمع، فيثيب المطيع ويعذب الكافر، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ ﴾ أي الذين لا يرون بعثا ولا معادا، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي ويل لهم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم. ثم بَيَّنَ تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ أي لا نفعل ذلك، ولايستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع، ويعاقب فيها هذا الفاجر. وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لابد من معاد

(١) الكشاف ٢٠٩/٣
(٢) أضواء البيان ٣٦٣/٥
(٣) سورة ص، الآيتان: ٢٧، ٢٨

وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلابد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في الدار فتعين أن هناك دارا أخرى لهذا الجزاء والمواساة".(١)

٤- قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾(٢)

قال ابن جزي: "هذا توبيخ، ومعناه: أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾(٣)".(٤)

وقد ورد تقرير هذا المعنى في الآيات التالية أيضاً:

١- قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾(٥)

٢- قوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾(٦)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٣/٤، ٣٤

(٢) سورة القيامة، الآية: ٣٦

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ١٦٦/٤

(٥) سورة يونس، الآية: ٤

(٦) سورة الكهف، الآيتان: ٤٨، ٤٩

٣- قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١)

٤- قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢)

"ومعلوم أن عدم التسوية بينهم في مماتهم أنه بالبعث والجزاء، فهو سبحانه أحكم الحاكمين في صنعه وخلقه، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأعدل الحكام في حكمه لم يسوّ بين المحسن والمسيء".(٣)

٥- قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (٤)

لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وكلفه بالتكاليف الشرعية، فأمره ونهاه.

والتكليف لا يتحقق إلا بالمجازة، فلو لم يترتب على ذلك بعث وجزاء لكان القيام بهذه الأمور عبثاً، والله تعالى منزه عن العبث، فثبت أنه لابد من البعث.

ومن الآيات التي تشير إلى هذا المعنى:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا ۖ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ ﴾(٥)

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢١

(٣) أضواء البيان ١١/٩

(٤) سورة الزلزلة، الآيات: ٦ – ٨

(٥) سورة الانفطار، الآيات: ٦ – ٩

٢- قال تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾[1]

وفي التعقيب على آيات سورة الانفطار قال الإمام الرازي: "اعلم أنه سبحانه لما أخبر في الآية الأولى[2] عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلاً على إمكانه أو على وقوعه، وذلك من وجهين:

الأول: أن الإله الكريم الذي لا يجوز من كرمه أن يقطع موائد نعمه عن المذنبين، فكيف يجوز في كرمه أن لا ينتقم للمظلوم من الظالم.

الثاني: أن القادر الذي خلق هذه البنية الإنسانية ثم سواها وعدلها إما أن يقال: إنه خلقها لا لحكمة أو لحكمة، فإن خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثاً، وهو غير جائز على الحكيم، وإن خلقها لحكمة فتلك الحكمة إما أن تكون عائدة إلى الله تعالى أو إلى العبد، والأول باطل؛ لأنه سبحانه متعال عن الاستكمال والانتفاع، فتعين الثاني، وهو أنه خلق الخلق لحكمة عائدة إلى العبد.

وتلك الحكمة إما أن تظهر في الدنيا أو في دار سوى الدنيا، والأول باطل؛ لأن الدنيا دار بلاء وامتحان، لا دار الانتفاع والجزاء، ولما بطل كل ذلك ثبت أنه لا بد بعد هذه الدار من دار أخرى، فثبت أن الاعتراف بوجود الإله الكريم الذي يقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل أن يقطع بأنه سبحانه يبعث الأموات ويحشرهم، وذلك يمنعهم من الاعتراف بعدم الحشر والنشر.

---

(١) سورة التين، الآيات: ١ – ٨

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١...﴾ الخ.

وهذا الاستدلال هو الذي ذكر بعينه في سورة التين حيث قال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ إلى أن قال: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾[1]

وهذه المحاجة تصلح مع العرب الذين كانوا مقرين بالصانع وينكرون الإعادة، وتصلح أيضاً مع من ينفي الإبتداء والإعادة معاً؛ لأن الخلق المعدل يدل على الصانع، وبواسطته يدل على صحة القول بالحشر والنشر".[2]

وإن من مقتضيات الإلهية إيصال الثواب إلى المطيعين والعقاب إلى العصاة. فالحكمة الإلهية ومقتضى العقل يقتضي أن يكون هناك يوم تُرَدُّ للمظلوم فيه مظلمته، ويعاقب الظالم والمسيء على ظلمه وإساءته.

وهذا ما قرره الإمام الرازي حين قال: "والمعبود يجب أن يكون قادرا على إيصال الثواب إلى المطيعين والعقاب إلى العصاة، فمن لا يكون كذلك وجب أن لا يصلح للإلهية".[3]

قلت: هذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾[4]

إذ المعنى: "ولا يملكون إماتة أحد وإحياءه أولا وبعثه ثانيا، ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية؛ لعرائه عن لوازمها، واتصافه بما ينافيها. وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادرا على البعث والجزاء".[5]

---

(١) سورة التين، الآيات: ٤ – ٧
(٢) التفسير الكبير ٧٢/٣١
(٣) التفسير الكبير – الرازي ٤٣/٢٤
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٣
(٥) تفسير البيضاوي ٢٠٦/٤

المبحث الثاني
الاستدلال بقدرة الله وعلمه

من الأدلة العقيلة على إمكان البعث ووقوعه أنه أمر داخل تحت قدرة الله وعلمه، ومن ثَمَّ فلا وجه لاستبعاده أو استنكاره؛ لأنه إذا ثبت لله تعالى العلم التام والقدرة الكاملة فلا يتعذر عليه إحياء الموتى وبعثهم.

قال ابن القيم: "وهو سبحانه يقرر المعاد بذكر كمال علمه وكمال قدرته وكمال حكمته، فإن شُبَه المنكرين له كلها تعود إلى ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلاط أجزائهم بأجزاء الارض علي وجه لا يتميز ولا يحصل معها تميز شخص عن شخص.

الثاني: أن القدرة لا تتعلق بذلك.

الثالث: أن ذلك أمر لا فائدة فيه، أو إنما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئا بعد شيء هكذا أبدا، كلما مات جيل خلفه جيل آخر، فأما أن يميت النوع الانساني كله ثم يحيه بعد ذلك فلا حكمة في ذلك.

فجاءت براهين المعاد في القرآن مبينة على ثلاثة أصول:

أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه، كما قال في جواب من قال: ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [(١)] وقال: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [(٢)]، وقال: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ [(٣)]

(١) سورة يس، الآيتان: ٧٨ – ٧٩
(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٨٥ – ٨٦
(٣) سورة ق، من الآية: ٤

والثاني: تقرير كمال قدرته، كقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ (١)، وقوله: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾(٢) وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾(٣)

ويجمع سبحانه بين الأمرين، كما في قوله: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ (٤).

الثالث: كمال حكمته، وقد سبق الحديث عن ذلك.

ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب تعالي وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه، وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص".(٥)

وقال ابن القيم في موضع آخر: "ثم أكد هذا المعنى بالإخبار بعموم علمه لجميع الخلق، فإنَّ تعذر الإعادة عليه إنما يكون لقصور علمه أو قصور في قدرته، ولا قصور في علم من هو بكل خلق عليم، ولا قدرة فوق قدرة من خلق السموات والأرض وإذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، وبِيده ملكوت كل شيء، فكيف تَعْجزُ قُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ عن إحْيائكم بعد ممَاتكم؟ ولم تعجز عن النَّشْأَةِ الأُولَى وَلا عن خَلْقِ السموات وَالأَرْضِ".(٦)

---

(١) سورة يس، من الآية: ٨١

(٢) سورة القيامة، الآية: ٤

(٣) سورة الحج، الآية: ٦

(٤) سورة يس، الآية: ٨١

(٥) الفوائد لابن القيم ص ٦، ٧ باختصار.

(٦) إعلام الموقعين ١/١٤١، ١٤٢

ومن الآيات المقررة لهذا المعنى:

١- قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (١)

"ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني، فإذا كان تام العلم كامل القدرة فكيف يتعذر عليه أن يحيي العظام؟" (٢)

ومما يشير إلى تمام علمه وكمال قدرته قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾

فقد " ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه الخلاق العليم، والخلاق والعليم كلاهما صيغة مبالغة. والآية تشير إلى أنه لا يمكن أن يتصف الخلاق بكونه خلاقاً إلا وهو عليم بكل شيء لا يخفى عليه شيء؛ إذ الجاهل بالشيء لا يمكنه أن يخلقه". (٣)

٢- قوله تعالى: ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا

---

(١) سورة يس، الآيات: ٧٦ – ٨٣

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٦٠

(٣) أضواء البيان ٣١٤/٢ بتصرف يسير.

تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

فقد بيَّن في هذه الآيات أن العالم بما تمزق في الأرض من أجسادهم قادر على إحيائهم وبعثهم.

فقوله تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ "إشارة إلى دليل جواز البعث وقدرته تعالى عليه؛ وذلك لأن الله تعالى عالم بجميع أجزاء كل واحد من الموتى، لا يشتبه عليه جزء أحد على الآخر، وقادر على الجمع والتأليف، فليس الرجوع منه ببعيد. وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ (٢) حيث جعل للعلم مدخلاً في الإعادة وقوله: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾ يعني: لا تخفى علينا أجزاؤهم بسبب تشتتها في تخوم(٣) الأرضين، وهذا جواب لما كانوا يقولون: ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ (٤) يعني أن ذلك إشارة إلى أنه تعالى كما يعلم أجزاؤهم يعلم أعمالهم مِنْ ظلمهم وتعديهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون". (٥)

ومن الآيات التي أشارت إلى قدرة الله تعالى على البعث:

١- قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (٦)

---

(١) سورة ق، الآيات: ١ – ٤

(٢) سورة يس، من الآية: ٨١

(٣) تخوم الأرض: أي معالمها وحدودها. (النهاية في غريب الأثر ١٨٣/١، لسان العرب ٦٤/١٢ "تخم")

(٤) سورة يس، من الآية: ١٠

(٥) التفسير الكبير ١٣١/٢٨

(٦) سورة البقرة، من الآية: ١٤٨

فإن معنى الآية: "﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ للجزاء، من موافق ومخالف، لا تعجزونه".(١) "أي هو قادر على جمعكم من الأرض وإن تفرقت أجسادكم وأبدانكم".(٢)

قال الإمام الطبري: "وأما قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فإنه – تعالى ذكره – يعني: أن الله تعالى على جمعكم بعد مماتكم من قبوركم من حيث كنتم – وعلى غير ذلك مما يشاء – قدير، فبادروا خروج أنفسكم بالصالحات من الأعمال قبل مماتكم ليوم بعثكم وحشركم".(٣)

وقال الإمام ابن عطية: "وقوله ﴿ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ يعني به البعث من القبور، ثم اتصف الله تعالى بالقدرة على كل شيء مقدور عليه، لتناسب الصفة مع ما ذكر من الإتيان بهم".(٤)

٢- في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وتسائل: أنى يحي هذه الله بعد موتها، فأراه الله الآية في نفسه، فأماته مائة عام ثم بعثه، وساعتها أقر بالبعث قائلاً: ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) . وإذا ثبت كمال القدرة لله عز وجل فما وجه إنكار قدرته على البعث ؟

٣- قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦)

---

(١) التفسير الكبير – الرازي ١٢٠/٤، ويراجع: تفسير البيضاوي ٤٢٦/١، تفسير أبي السعود ١٧٧/١

(٢) تفسير ابن كثير ١٩٥/١

(٣) تفسير الطبري ٣٠/٢

(٤) المحرر الوجيز – ابن عطية ٢٢٥/١، ويراجع: تفسير الثعالبي ١١٨/١

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٥٩

(٦) سورة هود، الآية: ٤

أي "إلى الله مرجعكم، وأينما تكونوا من جهات الأرض يأت بكم الله جميعاً في صعيد القيامة، فيفصل بين المحق منكم والمبطل؛ حتى يتبين مَنْ المطيع منكم ومَنْ العاصي، ومَنْ المصيب منكم ومَنْ المخطىء، إنه على ذلك قادر".(١)

ونظير هذه الآيات – المقررة لإمكان البعث ووقوعه انطلاقاً من قدرة الله تعالى على كل شيء – ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٢)

٢- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (٣)

٣- قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ (٤)

٤- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٥)

٥- قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٦)

---

(١) التفسير الكبير – الرازي ١٢٠/٤

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٧

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩٩

(٤) سورة الحج، الآيتان: ٦، ٧

(٥) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٩، ٢٠

(٦) سورة الروم، الآية: ٥٠

٦- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (١)

٧- قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢)

٨- قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾ (٣)

٩- قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٤)

١٠- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٥)

١١- قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ (٦)

١٢- قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (٧)

---

(١) سورة يس، الآيات: ٨١ – ٨٣

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩

(٣) سورة الشورى، الآية: ٩

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٩

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣

(٦) سورة الحديد، الآية: ٢

(٧) سورة الملك، الآيتان: ١، ٢

١٣- قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾ (١)

١٤- قوله تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠ ﴾ (٢)

فهذه الآيات المتقدمة تشير إلى طلاقة قدرته تعالى على جميع الأشياء، التي من جملتها بعث الناس بعد موتهم، ولا يتصور أن يعجز عن ذلك بعد ما أخبر به؛ إذ قدرته تعالى صالحة لذلك.

قال الإمام الزمخشري: "لما أنكروا البعث قيل لهم: ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة ؟! فما وجه إنكار قدرته على البعث ؟ وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات".(٣)

❁❁❁

(١) سورة القيامة، الآيات: ١ – ٤

(٢) سورة القيامة، الآيات: ٣٦ – ٤٠

(٣) الكشاف – الزمخشري ٦٨٥/٤

المبحث الثالث

الاستدلال بأن اختلاف الناس لا ينتهي إلا بالبعث

إن الله عز وجل خلق الناس في هذه الحياة، وجعلهم مختلفين. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(١)

ولو شاء الله عز وجل لجمع الناس على الهدى، ولكن له حكمة في بقائهم مختلفين. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾(٢)

فالناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم واعتقادات مللهم ونحلهم وآرائهم، وقد جعل الله تعالى هذا الخلاف الموجود في البشر أحد الدلائل على صحة البعث، فقال: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾(٣)

"وهذه الآية أحد ما تضمنه القرآن العزيز من الأدلة البرهانية على صحة البعث، ووجه البرهان المنفك من هذه الآية: أن اختلاف الناس في الحق لا يوجب احتلاف الحق في نفسه، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه والقياسات المركبة عليه، والحق في نفسه واحد.

فلما ثبت أن هاهنا حقيقة موجودة لا محالة، وكان لا سبيل لنا في حياتنا هذه إلى الوقوف عليها وقوفا يوجب لنا الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف، إذ كان الاختلاف

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٥

(٣) سورة النحل، الآيتان: ٣٨، ٣٩

مركوزاً في فطرنا، مطبوعا في خلقنا، وكان لا يمكن ارتقاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الخلقة ونقلنا الى جبلة غير هذه الجبلة، صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة، فيها يرتفع الخلاف والعناد، وتزول من صدورنا الضغائن الكامنة والأحقاد، وهذه هي الحال التي وعدنا الله تعالى بالمصير إليها، فقال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[١]

فقد صار الخلاف الموجود في العالم كما ترى أوضح الدلائل على كون البعث الذي ينكره المنكرون وينازع فيه الملحدون الكافرون".[٢]

قال ابن جزي: " ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ اللام تتعلق بما دل عليه بلى، أي يبعثهم ليبين لهم. وهذا برهان أيضا على البعث، فإن الناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم، فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه".[٣]

ومن الآيات المقررة لهذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٤]

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[٥]

قال ابن القيم: "وفي قوله: ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ سر آخر أيضا، وهو أن هذا الاختلاف دليل على يوم الفصل، وهو اليوم الذي يفصل الله تعالى

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧

(٢) الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، لعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ٢٧/١، ٢٨ باختصار، ويراجع: البرهان في علوم القرآن ٢٧/٢، الإتقان في علوم القرآن ٣٥٨/٢

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٣/٢، ١٥٤

(٤) سورة المائدة، من الآية: ٤٨

(٥) سورة الأنعام، من الآية: ١٦٤

فيه بين الخلائق، ويبين لهم حقيقة ما اختلفوا فيه. فنفس الاختلاف دليل على يوم الفصل والبعث.

وقد أوضح ذلك قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]

فذكر تعالى حكمتين بالغتين في بعثة الأموات بعدما أماتهم:

إحداهما: أن يبين للناس الذي اختلفوا فيه، وهذا بيان عياني تشترك فيه الخلائق كلهم، والذي حصل في الدنيا بيان إيماني اختص به بعضهم.

الحكمة الثانية: علم المبطل بأنه كان كاذبا وإن كان على باطل، وأن نسبة أهل الحق إلى الباطل من افترائه وكذبه وبهتانه، فيخزيه ذلك أعظم خزي".[2]

۞۞۞

(١) سورة النحل، الآيتان: ٣٨، ٣٩

(٢) بدائع الفوائد ٩٦٩/٤

الخاتمة

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴾(١)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات ﷺ .

وبعد: فقد كشفت هذه الدراسة عن العديد من النتائج التي أجملها فيما يلي:

١- كَثُرَ الاستدلال القرآني على البعث، وتنوعت الأدلة ما بين شرعية وحسية وعقلية، وقد نهج القرآن الكريم في استدلاله على إمكان البعث وتحقق وقوعه منهجا قويما، يجمع بين ما تقرره العقول السليمة، ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة.

٢- أقوى الأدلة على إمكان البعث ووقوعه إخبار الله – عز وجل – بتحقق هذا الأمر؛ لأنه خبر لا يقبل الشك أو التكذيب؛ إذ هو إخبار من الله الذي ليس في الوجود أحد أصدق منه حديثاً، ثم هو إخبار ممن ثبتت قدرته على كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء.

٣- نوَّع الله تعالى أساليب الإخبار بتحقق البعث بعد الموت من باب التقرير والتأكيد، ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع يوم القيامة إخباراً مؤكداً بحروف التأكيد، وأحياناً يستخدم التعبير عن مجيء يوم القيامة بالفعل الماضي تحقيقاً لأمرها، كأنها قد وقعت بالفعل، وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على إثبات البعث والمعاد، أو يأمر رسوله ﷺ بالإقسام على وقوع البعث وتحققه، وفي مواضع أخرى يذم منكري البعث، أو يتوعدهم بالعذاب الأليم، وأحياناً يمدح المؤمنين بالمعاد، إلى غير ذلك من الأساليب الكثيرة.

---

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٤٣

٤- من الأدلة الشرعية على إمكان البعث ووقوعه تواتر الإخبار به عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك مقطوع بصحته؛ لأنه خبر أخبر به مَنْ ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته، منقول إلينا بالتواتر، فهو حق.

٥- استدل القرآن الكريم على إمكان البعث ووقوعه بالنشأة الأولى؛ إذ النشأة الأولى تدل على إمكان النشأة الأخرى، ومبدأ الإنسان يدل على معاده يوم القيامة، وهو دليل واضح جلي؛ لأن القادر على الخلق ابتداءً قادر على إعادة هذا الخلق مرة ثانية، والكل معترِف بالخلق الأول؛ لأنه أمر معاين محسوس لا سبيل إلى إنكاره، والكل مجمع أيضاً على أن ابتداء الخلق أشق وأصعب من إعادته، وأن من عجز عن الإعادة فهو عن ابتداء الخلق أعجز.

٦- من الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه: إحياء الأرض بعد موتها، وهو دليل ظاهر؛ لأنه من الأمور المشاهدة المحسوسة، فنحن نرى الأرض وقد أصابها الجدب، وكأنها أشبه ما تكون بالإنسان الميت، فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء أخرجت من ألوان الزروع والثمار ودبت فيها الحياة مرة ثانية. فدَلَّ سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء في نظيره. والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته.

٧- استدل القرآن الكريم على إمكان البعث ووقوعه بخلق السموات والأرض؛ إذ خلق السموات والأرض أعظم من خلق الإنسان، والقادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه.

فخلق الإنسان وإعادة الحياة إليه بعد موته أهون من خلق السموات والأرض – وذلك بحسب مقاييس البشر – فإذا كان الله عز وجل قادراً على خلق هذه المخلوقات العظيمة – على ما فيها من دقة وإتقان وإبداع – فهو بالأولى أقدر

على إعادة الحياة إلى الموتى؛ لأنه دون خلق السموات والأرض.

٨- من الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه: ما ورد ذكره في القرآن الكريم من قدرة الله تعالى على إخراج الأشياء من أضدادها. فالله تعالى يحي ويميت، ويخلق ويفني، ويُخْرج الحي من الميت، ويُخْرج الميت من الحي، ويجعل من الشجر الأخضر ناراً.

وحصول الضد بعد الضد غير مستنكر في قدرة الله تعالى؛ لأنه لما جاز حصول الموت عقيب الحياة فكيف يستبعد حصول الحياة مرة أخرى بعد الموت؟ فإن حكم الضدين واحد.

٩- من الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه: ما ذكره القرآن الكريم من حصول اليقظة بعد النوم، وهي ظاهرة متكررة ومشاهدة، والنوم أشبه ما يكون بالموت، وحصول اليقظة بعد النوم أشبه ما تكون بالحياة بعد الموت.

ووجه الشبه بين النوم والموت: أن كلا منهما تتوقف فيه الأعضاء عن أداء وظائفها، ووجه الشبه بين اليقظة والبعث: أن الأعضاء في كلٍ منهما تعود إلى أداء وظائفها. فكما تتم عملية النوم والاستيقاظ، تتم عملية الموت والحياة.

١٠- من الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه: ما أشار إليه القرآن الكريم من تعاقب الليل والنهار. وهي ظاهرة متكررة ومشاهدة، والليل شبيه بالموت، إذ فيه يسلب الله الضوء من الأرض فيكون الظلام والسكون، والنهار شبيه بالبعث بعد الموت؛ إذ فيه يعود الضياء إلى الأرض وتعود الحركة بعد السكون.

١١- أقوى الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه: استدلال القرآن الكريم بمن أماتهم الله ثم أحياهم، فقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم بما وقع من البعث الحسي المشاهد في الحياة الدنيا، حيث أرى الله تعالى عباده إحياء الموتى عياناً في هذه الدنيا، وهي أمثلة حسِّيَّة واقعة، تدل دلالة قاطعة على إمكان إحياء

الموتى وبعثهم يوم القيامة.

١٢- من أدلة القرآن الكريم العقلية على إمكان البعث ووقوعه: الاستدلال بحكمة الله وعدله. فحكمة الله وعدله يقتضيان البعث؛ ولو لم تدل الدلائل الشرعية على إثبات البعث بعد الموت لكان في العقل أكبر دليل عليه، فنحن نرى الناس في هذه الحياة يظلم بعضهم بعض، ويعتدي بعضهم على بعض، وفيهم الصالح والفاسد، والمحق والمبطل، ثم يموتون دون جزاء ولا عقاب، فلو لم يكن هناك بعث ولا حياة أخرى لضاع حق المظلوم، ولأفلت الظالم من العقاب، ولمات المحسن دون أن يلقى ثواب إحسانه، والمسيء دون أن يلقى جزاء إساءته .

١٣- من الأدلة العقيلة على إمكان البعث ووقوعه: أنه أمر داخل تحت قدرة الله وعلمه، ومن ثَمَّ فلا وجه لاستبعاده أو استنكاره؛ لأنه إذا ثبت لله تعالى العلم التام والقدرة الكاملة فلا يتعذر عليه إحياء الموتى وبعثهم.

١٤- من الأدلة العقيلة على إمكان البعث ووقوعه: أن اختلاف الناس لا ينتهي إلا به، فالناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم واعتقادات مللهم وآرائهم، وقد جعل الله تعالى هذا الخلاف الموجود في البشر أحد الدلائل على صحة البعث.

وبعد: فإني أوصي نفسي والمسلمين عامة وطلاب العلم خاصة بالاعتناء بكتاب الله تعالى سماعا وحفظا، وتلاوة وتفسيرا، وعلما وعملا، وأن نتخلق بخلقه، ونجعله قائدا لنا في هذه الحياة، حتى يكون شفيعا لنا يوم نلقى الله.

والله أسأل أن ينفعني بهذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

والحمد لله في الأولى والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً- كتب التفسير وعلوم القرآن:

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار النشر: دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. – بيروت. – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين بن أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت ، (١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م) تحقيق: عبد القادر عرفات العشًّا.

٥- البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبي عبد الله، دار النشر: دار المعرفة – بيروت – ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٦- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل.

٧- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لنصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

٨- تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية – صيدا،

تحقيق: أسعد محمد الطيب.

٩- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ

١٠- تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.

١١- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

١٢- تفسيرالتحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، ١٩٩٧م

١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.

١٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ

١٥- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب – القاهرة.

١٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

١٧- الدر المنثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣

١٨- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار

النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.

١٩- صفوة البيان لمعاني القرآن، لحسنين محمد مخلوف، بدون بيانات.

٢٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت.

٢١- في ظلال القرآن الكريم، لسيد قطب، دار النشر: دار الشروق، القاهرة – بيروت . الطبعة الشرعية السابعة والعشرون ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٢٢- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.

٢٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٢٤- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي.

٢٥- لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبي الفضل، دار النشر: دار إحياء العلوم – بيروت.

٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

ثانياً- كتب الحديث وعلومه:

١- التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين عبد الرؤوف المناوي، دار النشر:

مكتبة الإمام الشافعي، الرياض – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، الطبعة: الثالثة.

٢- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٣- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٤- السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ – ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.

٥- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٦- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

ثالثاً- كتب العقيدة:

١- إطلالة على عقيدة البعث في الإسلام، للدكتور/ عبد الحميد علي عز العرب، دار النشر: دار المنار – القاهرة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

٢- الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان، للدكتور/ أحمد محمد أحمد جلي، بحث منشور بمجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء – الرياض . الإصدار: من ربيع الأول إلى جمادى الثانية لسنة ١٤١٣ هـ.

٣- درء تعارض العقل والنقل، لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن.

٤- الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، للدكتور/ عبد الكريم نوفان عبيدات، دار النشر: دار النفائس – الأردن، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م الطبعة: الأولى.

٥- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩١، الطبعة: الرابعة.

٦- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار العاصمة – الرياض – ١٤١٨ – ١٩٩٨، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل.

٧- القيامة الكبرى ، للدكتور/ عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النشر: دار النفائس – الأردن، دار السلام – القاهرة، (طبعة خاصة بمصر والمغرب العربي واليمن) ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

رابعاً- كتب اللغة والمعاجم:

١- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

٢- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٤- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

خامساً- كتب عامة:

١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

٢- الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، لعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

٣- عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، لأحمد ابن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي المعروف بابن السني، دار النشر: دار القبلة

للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن – جدة / بيروت، تحقيق: كوثر البرني.

٤- الفوائد، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣، الطبعة: الثانية.

***

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة.....	٢٥١
الفصل الأول: الأدلة الشرعية على إمكان البعث ووقوعه.....	٢٥٤
المبحث الأول: الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه بإخبار الله تعالى بذلك	٢٥٥
المبحث الثاني: الاستدلال على إمكان البعث ووقوعه بتواتر الإخبار بذلك عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.....	٢٦٦
الفصل الثاني: الأدلة الحسية على إمكان البعث ووقوعه.....	٢٧٢
المبحث الأول: الاستدلال بالنشأة الأولى.....	٢٧٣
المبحث الثاني: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها.....	٢٨٥
المبحث الثالث: الاستدلال بخلق السموات والأرض.....	٢٩٠
المبحث الرابع: الاستدلال بإخراج الضد من ضده.....	٢٩٥
المبحث الخامس: الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم.....	٣٠٠
المبحث السادس: الاستدلال بتعاقب الليل والنهار.....	٣٠٣
المبحث السابع: الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم.....	٣٠٧
الفصل الثالث: الأدلة العقلية على إمكان البعث ووقوعه.....	٣٢٢
المبحث الأول: الاستدلال بحكمة الله وعدله.....	٣٢٣
المبحث الثاني: الاستدلال بقدرة الله وعلمه.....	٣٣٥
المبحث الثالث: الاستدلال بأن اختلاف الناس لا ينتهي إلا بالبعث.....	٣٤٣
الخاتمة.....	٣٤٦
فهرس المصادر والمراجع.....	٣٥٠
فهرس الموضوعات.....	٣٥٧